السبع اللقاءات

مِنْ الرسائل إلى طالب العلم

اللقاء الأول: إخلاص النية لله _تبارك وتعالى_ في طلب العلم.

اللقاء الثاني: الاجتهاد في طلب العلم.

اللقاء الثالث: الرحلة في طلب العلم واختيار الصاحب المعين.

اللقاء الرابع: أدب التواضع للشيوخ.

اللقاء الخامس: لزوم الآداب مع الشيوخ والبعد عن العجب والغرور.

اللقاء السادس: الصبر على طلب العلم.

اللقاء السابع: ذم الخجل في العلم وعدم الاشتغال بكتب الخلاف في أول الطلب واتباع العلم بالعمل.

لصاحب الفضيلة الشيخ العلامة الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

[مُفَرَّغ]

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الأول مِنْ سلسلة الرسائل إلى طالب العلم

بعنوان: إخلاص النية لله _تبارك وتعالى_ في طلب العلم.

لصاحب الفضيلة الشيخ العلامة الدكتور: محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فنَحْمَدُ الله جلَّ وعلا على ما متَّعنا به وإياكم مِنْ نعمة الصحة والعافية، ونسأَلُه جل وعلا الذي متعنا بها أن يعيننا وإياكم على صرفها في طاعته، كما نحمده جل وعز أن جمعنا مرةً أخرى بعد إجازةٍ عطلةٍ دامتْ قريبا مِنْ أربعة أشهر.

وها نحن نعود مرةً أخرى إلى هذه اللقاءات العلمية، التي نسأل الله جل وعلا أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا وإياكم فيها العلمَ النافع المثمر للعمل الصالح.

[1] _ ألقاه في مسجد بدري العتيبي، بالمدينة النبوية _على صاحبها أفضل الصلاة والسلام_، بعد صلاة العشاء، مساء يوم السبت، في الخامس والعشرين، مِنْ شهر ذي الحجة، عامَ ثمانية وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوةُ الكرامُ والأحبةُ الأعزاءُ؛ إن شاء الله تعالى سيكون حديثُنا هذه الليلة والليالي القادمة عن الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها ويتخلق بها طلابُ العلم، هذا المجلس أَوَّلُها، وسَتَلِيْهِ إن شاء الله مجالس حتى نأتيَ على الآداب التي ينبغي أن نتأدب بها، كما ذكرها أهل العلم في كتبهم، وفي مقدمة هؤلاء أئمة الحديث، في كُتُبِ الدراية، حيث نَصُّوا على الآداب التي ينبغي لطالب الحديث، لطالب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتأدب بها، ويتخلق بها.

وهذا المجلس معشر الأحبة نُمَحِّضُه ونخصصه لأَوَّلِهَا، وهو أعظمها على الإطلاق، ألا وهو تصحيح النية في الطلب، إخلاص النية لله جل وعلا في طلب هذا العلم؛ فإن هذا العلم دين، وهو عبادة يُتَعَبَّدُ بها لله جل وعلا.

فبهذا العلمِ علمِ الشريعة الذي أساسُه كتابُ الله وسنةُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والفقه الذي هو الثمرة منهما، هذه الثلاثة يحتاج صاحبها إلى أن يعرف الآداب التي يجب عليه أن يتأدب بها في طلبه.

ولما كان الأمر كما ذكرنا وجب عليه أن يبدأ بهذا الأول ألا وهو الإخلاص لله تبارك وتعالى، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك، فقال جل وعلا: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[٢]، فهذا أَمْرٌ مِنَ الله جل وعلا بالإخلاص له في العبادة.

والعلم هو الطريق لتصحيح هذه العبادة، فوجب أن يُخْلَصَ لله سبحانه وتعالى فيه، لذلك يقول ربنا جل وعلا قارنًا له بشعيرة عظيمة، قد قُرِنَتْ معه في الآية السابقة وهي الصلاة: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا}[٣]، هذه؛ أليست الصلاة؟ {يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}[٤]، والجواب: لا يستوي العالمون بدين الله وبشرعه كتابًا وسنةً وأحكامًا منهما، لا يستوي هؤلاء ومَنْ يجهل ذلك، فلذلك كان العالمون هم القائمون بحق الله على الحقيقة، وإن كان غيرُهم مِنْ عباد الله المسلمين يقومون بذلك، لكن على الوجه الأكمل والوجه التام والوجه الصحيح لا يكون ذلك إلا في أهل العلم، كما قال الله جل وعلا: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[٥]، فهل هذا دليل على أن غيرهم لا يخشاه؟ لأ، ولكن الخشية الحقيقية الكاملة التامة مِنْ جميع الوجوه ليست إلا لهم؛ لأنه قد استقرَّ عند الناس جميعا أن هؤلاء هم أعلمُ الناس بالله وبدينه وشرعه، ومَنْ كان بالله أعرفَ كان منه أخوفَ.

---

[٢] _ البينة (٥).

[٣] _ الزمر (٩).

[٤] _ الزمر (٩).

[٥] _ فاطر (٢٨).

فالواجب علينا جميعا أن نراقب أنفسنا في هذا الجانب، في إخلاص النية لله جل وعلا في طلب العلم وتحصيله، فإنه قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"؛ الحديث.

فأنت أيها الطالب للعلم والمجتهد في تحصيله، إن كانت نيتك لله جل وعلا، وتكون النية لله بأمور:

الأول: أن ينوي بالتعلم رفع الجهل عن نفسه، فيعرف ربَّه ودينه ورسوله، ودين الإسلام، كما قلنا دينه، يعرف ذلك كله بالأدلة كما تقدم معنا في دروس سابقة في الأصول الثلاثة، يرفع الجهل عن نفسه، فيعلم ربه ودينه ونبيه صلى الله عليه وسلم بالأدلة، لا بالتقليد وبما يقوله الناس، وإنما بالأدلة، فيرفع الجهل عن نفسه.

ثانيا: يُصَحِّحُ عبادتَه كما قال جل وعلا: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[٦]، فالتفقه في دين الله لِتَعْلَمَ به صحيح العبادة مِنْ فاسدها، فتتفقه في دين الله لترفع الجهل عن نفسك؛ بمعرفتك بربك ولرسولك ولدين الإسلام بالأدلة، ثم تَعْلَمُ الأحكام هذه التي هي دين الإسلام، تعلمها بالأدلة لا بالتقليد.

---

[٦] _ التوبة (١٢٢).

ثالثا: لِتُعَلِّمَ الناسَ الخيرَ، فإن الله جل وعلا قد نَظَمَ في هذه الآية السابقة أمرين: الفقه في الدين، وتعليم قومنا إذا رجعنا إليهم، {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ}، فيرفع الجهل عن نفسه، {وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ}، يقومون بمهمة التعليم والتبليغ والبيان والتدريس.

فأهل العلم في الناس سُرُجٌ ومصابيحُ، فإن مِنَ الفتن _كما جاء ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم_ وظهور الفتن إنما يكون عند ظهور الجهل.

ومِنَ الفتن العظيمة ما أخبر به عليه الصلاة والسلام مِنَ انتزاع الدين بنزع أرواح العلماء، وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله لا ينتزع هذا الدين انتزاعا مِنْ صدور الرجال، ولكن يقبض الدين بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالمًا _أو: لم يَبق عالمٌ_ اتخذ الناس رؤوسا جهالا فَسُئِلُوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"، فلذلك الذي يتفقه في دين الله ويعلم أحكام الشرع بالأدلة يعود إلى قومه، فيكونُ نعمةً ورحمةً مِنَ الله عليهم، يهديهم بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُنِيْرُ لهم الطريق، فهؤلاء هم الذين ينفع الله جل وعلا بهم، فإذن يرفع الجهل عن نفسه، ثم يرفع الجهل عن أمته.

ثم يَذُبُّ عن دين الله جل وعلا هذا الأمر كم؟ الرابع، يذب عن دين الله جل وعلا، ينفي عنه انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، فيبين للناس السنن، ويحذرهم مِنَ البدع، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذِّرُ مِنَ البدع أصحابَه وهو

بين ظهرانيهم، وإذا جاء ذكرُها ارتفع صوتُه عليه الصلاة والسلام وانتفخت أوداجُه _العرقان الغليظان في جانبي العنق_ تنتفخ وتحمر عيناه، صلوات الله وسلامه عليه، والبدع لم تحدث بعد، فكيف بنا وقد كَثُرَتِ البدع فينا، وقليلٌ مَنْ يغضب لله منها، ويقوم في وجهها ووجه أصحابها؛ لصدها عن أمة الإسلام والرد على أصحابها، حتى تبقى هذه السنةُ صافيةً، وحتى تبقى هذه الشريعةُ نقيةً، كما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذن لا بد مِنْ هذه الأمور، فإذا كانت هذه الأمور هي المقصد في النفس فأبشر بالخير أيها المتعلم، أيها السالكُ الطريقَ للطلب، أبشرْ بالخير، وأما إن كان غير ذلك، فيا خسارة مَنْ كانت نيتُه كذلك، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ طلب علما مما يُبْتَغَى به وجه الله، لا يطلبه إلا ليصيب به عرضا مِنَ الدنيا لم يرح رائحة الجنة".

وإذا كان كذلك؛ فهذا دليل على أن طلب العلم الشرعي لغير وجه الله مِنَ الكبائر العظيمة، ووجه: أنه بذل هذا العلم النفيس لِيَحْصُلَ به على الفاني الخسيس مِنَ الدنيا، مَنْ طلب علما مما يبتغى به وجه الله؛ هذا هو النفاسةُ علومُ الشريعة، التي يَبيْنُ بها الحق، ويرشد بها الخلق، ويذب بها عن الدين، وهي أول ما يجب على العبد أن يتعلمه.

قدم وجوبا علوم الدين إن بها ... يبين نهج الهدى من موجب النقم

الذي يطلب هذا العلم لغير وجه الله يكون قد أذله، وهو نفيس، وجَعَلَه في مقابل الحطام الفاني وهو خسيس، فناسب أن يُذِلَّهُ الله يوم القيامة، عياذا بالله مِنْ ذلك معاشر الأحبة، فيحرِّمُ عليه الجنة، لم يرح رائحة الجنة.

وطلب العلم لغير الله، لغير وجه الله أنواع: إما ليريد به الجاه، وإما أن يريد به المدح والثناء، وإما أن يريد به التصدر، هذه كلها قد ثبتت في الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالثلاثة الذين تُسَعَّرُ بهم جهنم أول ما تسعر منهم: قارئ القرآن، يُؤتى به يوم القيامة، فيُقال له: ما عملت؟ فيقول: أَيْ ربِّ قرأت القرآن _أو: تعلمت القرآن_ وعَلَّمْتُه فيك، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، إنما قرأت ليُقال قارئ وقد قيل، ثم يُؤمر به، فيلقى على وجهه في النار، عياذا بالله، فهذا يريد المدح والثناء، فهذا حظُّه مِنْ تعلمه للقرآن، فقرأ القرآن فشقي به، فنسأل الله ألا يجعلنا وإياكم ممن يقرأ القرآن فيشقى، ونسأله أن يجعلنا وإياكم ممن يقرؤه فيسعد به في الجنة ويرقى.

فمَن أراد الثناء فهذه نيته، وحَصَلَتْ له، أفضل القراء، أحسن القراء، أشهر القراء، شيخ القراء، ونحو ذلك، ولكن الثمرة هذه هي إذا كانت هذه نيته عياذا بالله مِنْ ذلك.

أو ليظهر به على الناس في المناظرات والمجادلات، يُمَارِيْ به السفهاء ويجادل به العلماء ليُقال: عالم، فيؤتى به يوم القيامة ويكون هذا حظُّه.

وبعض الناس نراهم الآن يُحْسِنُ المسألة والمسألتين أو ينتقي عددا مِنَ المسائل ويبحثها، ولا سيما في هذا العصر الذي أصبح الشيخ فيها المواقع الإنترنتية والإلكترونية وجوجل ونحو ذلك مِنَ المواقع، ويستعرضها، وهو لا يعرف لا ترجيحا ولا تضعيفا ولا تصحيحا، ولكن يَعْرِضُ ما قد عُرِضَ، ويجمع بين ما عُرِضَ، والذي تهواه نفسه مال إليه، أو الذي يرى أنه أقوى في عينه مِنْ كلام مَنْ وقف على كلامه؛ أخذ به، وأخذ يعارض به، ويناقش به، ولكن الحصيف والذكي مِنَ المشايخ مَنْ يعرف هؤلاء فيخرج به عن الطريق المسفلت هذا، فينظر هل يستطيع أن يجري في هذا الطريق أو لأ؟ فيقف، فيُعْلَمُ أن هذا ممن تعلم المسائل المعدودة ليظهر بها أمام الناس أنه مِنْ أهل العلم وليس كذلك، وهذه مصيبة، نسأل الله العافية والسلامة.

واليوم جاءت عليها مصيبة أخرى جديدة في محبة الشهرة والاشتهار، عياذا بالله مِنْ ذلك، أيضا في هذه المواقع الإلكترونية كل واحد يريد أن يُزَايدَ على غيره بأعداد المعجبين به، أو الْمُصَوِّتِين له، الإعجاب والإعجابات واللايكات ونحو ذلك، وبعضهم كما بلغني أنه يشتري الأصوات، وبعضهم يشجع بعضا؛ لتكثر له التغريدات والرِّتْوِيْتَات، آه، غَرَّدَ يُغَرِّدُ غَرَّدَةً، التي جاءت في الإنجليزية: تَوْتَرَ يُتَوْتِرُ تَوْتَرَةً، فإعادتُها منكوسةً:

رَتْوَتَ يُرَتْوِتُ رَتْوَتَةً، فتأتيك الرَّتْوَتَاتُ ومعها الإعجابات واللايكات، وقد بلغني عن كثير مِنْ مَنْ يكتبون في هذا الباب أنهم إما يجهزون الحملات للتصويتات لهم؛ لتكثر الأعداد، وإما أن يشتري بعضهم بعض هذه المواقع بمن فيها وما فيها؛ ليكثر أمام الناس جمهوره.

وقد سمعت قبل ليلتين: الاحتجاج بالكثرة لبعضهم، يقول المتكلمُ في قناة مِنَ القنوات الإلكترونية؛ يقول: "فلان بن فلان ما بالهم يتكلمون فيه! وجماهيره ومتابعوه تجاوزوا المليون؟!" !

إبليس كم جماهيره؟ هل هذه حجة؟! يا سبحان الله، إبليس كم جمهوره؟ كم؟

دَعْكَ طيب مِنْ إبليس، مِنْ جنس بني آدم، المغنية الفلانية، لا نذهب لغيرها، مِنَ الفسقة الفجرة، كم جمهورها؟ هل هذه حجة؟! ليست بحجة، لكن تَأْسَفُ وتَحْمَدُ الله في الوقت نفسه على نعمة العقل ونعمة العافية، كيف بهذا الرجل الرجل الكامل العقل _والكامل الله في ذات وفي صفة_ كيف ينزل إلى هذا المستوى وإلى هذه اللغة؟ فلان جمهوره قد تجاوز المليون ويتكلمون فيه؟! سبحان الله.

فأصبح المقياس عند هؤلاء العد، وللأسف خُدِعَ بعض مَنْ ينتسب إلى العلم بهذه الكثرة، وذهب يبحث عنها يمنةً ويسرةً؛ ليُقال: أتباعه متابعوه جماهيره كُثُرٌ؛ يعني: صار مثل الرياضيين والمغنين ونحوهم.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لابن عمه أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "لَأَنْ يَهْدِيَ الله بك" كم؟ "رجلا واحدا خير لك مِنْ حمر النعم"، فالعبرة بالإخلاص في الدعوة وبالاهتداء، فهذا مع الإخلاص لو قَلَّ العدد ممن تبعه خيرٌ مِنَ الملايين مع عدم الإخلاص المتوعَّدُ صاحبه عياذا بالله مِنْ ذلك.

وهناك شيء آخر في هذه المسألة، صورة أخرى، ألا وهي الكذب معشر الأحبة، وللأسف انتشر هذا بين طلبة العلم، للأسف، يأتي المتكلم ويَصِفُ مَنْ نَعْرِفُهُ نحن كما نعرف أنفسنا: بالعلامة والمحدث والمجاهد وال.. وال... إلى آخره مِنَ الأوصاف التي لعلها لا تنطبق إلا على تقي الدين أبي العباس ابن تيمية وأحمد بن حنبل والشافعي ومالك وأمثالهم.

تنظر إلى تاريخ هذا الذي وُصِفَ بهذه الأوصاف، ونُعِتَ بهذه النعوت، وإذا بها لا تُسعفه، محطات تاريخه لا تسعفه، تاريخه لا يسعفه، فعيبٌ علينا معشر الأحبة، لا تذبحوا بعضَكم بعضًا بهذه النعوت، والنبي عليه الصلاة والسلام قد حذر مِنَ المدح، وقال للمادح: قطعْتَ عنق صاحبك، فالمدح هلاك للعبد.

والواجب علينا جميعا أن نتواصى بيننا، وأن يحث بعضنا بعضا على الكف عنه والحذر منه؛ فإنه الدرج إلى الإعجاب، والإعجاب هو محق الأعمال عياذا بالله.

كيف هو درجٌ إلى الإعجاب؟ يعجب المرء بذلك، وينسى ما هو عليه مِنَ العجز والضعف والأخطاء والتقصير والذنوب، نسأل الله العفو والستر والمسامحة، وبعد ذلك لا يرضى إلا بهذه الألقاب، لو ناداه أحدُنا باسمه لغضب، سبحان الله.

ثم هذا الإعجاب يصبح درجة إلى الْمَحْقِ، كيف؟ يترقى به إلى حب الثناء، فيصبح هذا ديدنه، فلا يقبل إلا المدح والثناء عليه، فهذا حَظُّهُ حينئذ مِنْ عِلْمِهِ، نسأل الله العافية والسلامة.

فالواجب الحذر معشر الأحبة مِنْ ذلك، وأن نعلم أن هذا باب شر عظيم، وقد كتب بعضهم إلى شيخ شيوخنا رحمه الله يمدحه، إلى الشيخ حافظ، وذكرتُ هذه الأبيات مِرارا، فتأمل فيها في المساء، ثم أنشأ على وُرَيْقَةٍ أبياتا رد بها على صاحبها، حينما قال فيها:

ما لي وللمدح إني لستُ أبغيه ...ولستُ أصغي إلى مَنْ قام ينشيه

إذ يُورِثُ العبد إعجابا بسيرته ... وما جناه مِنَ الزلات ينسيه

ما لي وللمدح والأملاكُ قد كتبوا سعي ... جميعا ورب العرش محصيه

إلى آخره.

فلا شك معشر الأحبة النفوس ضعيفة، فإذا لم يُوصد هذا الباب ويقفل على أربابه وأصحابه فإن الشيطان يتدرج بالمرء حتى يصيبه المرض في هذا الباب فيهلك بسببه.

ومِنَ البلايا والمصائب التي تقدح في الإخلاص التباهي بكثرة الشيوخ مع قِلَّةِ العلم، قرأ على هذا، وعلى هذا ، وعلى هذا، ولا أخفيكم ما جئت بشيء إلا مما رأيت أو سمعت، وقد رأيت في عِدَّةِ مواقع لبعضهم حشرا لعلماء الدنيا في هذا العصر شيوخا له، بعضهم لم نعرفه إلا مِنْ ضمن هذه القائمة، وبعضهم لم نعرفه إلا بالبدعة، وبعضهم نعرفه لكن لا نعرفُ له جلوسا للعلم، فلا ندري كيف طلب عليه هذا العلم، وكيف حصَّل عليه.

فهذا التباهي بكثرة الشيوخ على غير فائدة، إنما هو للتفاخر والتكاثر، فنحن نسأل الله العافية والسلامة.

ومِنَ المشايخ الكبار بعضهم مَنْ ليس له إلا شيخين أو ثلاثة أو أربعة وبَزَّ في العلم وأصبح علما يُشار إليه، ويُقتدى به، ويُهتدى بقوله، وفي هذا العصر منهم كثير، كشيخنا شيخ الإسلام الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وكشيخنا الشيخ حُمُود التويجري رحمه الله، وكشيخنا الشيخ أحمد النجمي رحمه الله، وكشيخنا الشيخ زيد رحمه الله، فإنك إذا عَدَدْتَ شيوخ هؤلاء ما تصل ببعضهم إلى العشرة، وهذا بعض شيوخه ثلثمائة أو أربعمائة، لو كان في عصر الرواية؛ لقلنا نعم، يأخذ عن هذا حديث، وعن هذا حديث، وعن هذا حديث، أما اليوم فلا، الآن لأ.

وقد أوقعهم هذا في المصيبة العظيمة، وهي الأخذ عن أهل الأهواء والبدع، وهي مصيبة أخرى، إذ التفاخر والسعي إلى كثرة الأشياخ، ونفخ الأثبات بذلك أوقعهم عن

الأخذ عمن أقبل وأدبر، وهب ودب، ومشى ودرج، ودخل وخرج، فأصبح الْهَمُّ الشاغلُ، والشُّغْلُ الشاغلُ له عددَ الشيوخ لديه، تأتي تجلس معه وإذا به ليس كما نُفِخَ.

فيا معشر الأحبة اعرفوا هذه الصور، واحذروها، وليكن المقصود إنما هو تحصيل العلم للعلم لذاته.

وليُعْلم حفظكم الله جميعا، إنه ما مِنْ واحد منا إلا ويعتري نيته شيء مِنْ هذا، ولكن بالمعالجة أولا، معالجة النفس في النية.

ثانيا بالاستمرار في العلم.

ثالثا: بالاستكثار منه، يوشك أن تُصَحَّحَ النية، وعلى هذا ينزل قول السلف، أو بعض السلف: طلبنا هذا العلم لغير الله فَأَبَى أن يكون إلا لله، لماذا؟ لأنه مع طلبه وتقدُّمِه في الطلب يقرأ ويقف بكثرة على هذه النصوص المحذرة، وعلى أقوال أئمة الهدى المتكاثرة المتضافرة المحذرة في هذا الباب، فينفعه الله بذلك، وتصح نيته، طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، فالعلم مصحح للنية التي هي مصححة للعمل، العلم مصحح للنية التي هي مصححة للعمل.

وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم بلا نية ثم حصلت النية، وجاء عن بعضهم: ثم كانت بعدُ، يعني: أنه في صغره لا يعرف، فدَرَجَ في ميدان العلم، سَلَكَه أبوه، أو أخوه، أو

أمه في الصغر، وحرصوا عليه حتى دخل وبدأ في العلم، ما عنده نية، ما يعرف، ثم جاءت بعد النية.

فالنية معشر الأحبة والإخلاص فيها لله جل وعلا شأنه عظيم، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لذلك، وأن يعيننا على أنفسنا.

سفيان رحمه الله ابن عيينة يقول: عالجت نفسي أربعين سنة في تصحيح نيتي حتى صحت، أربعين سنة، أربعين وهو يعالج نفسه، كيف نحن؟ كيف نحن؟ نسأل الله العفو والمسامحة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[٧].

[٧] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْعِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

[السؤالات]

ما شاء الله، هذا يسأل يقول: السلام عليكم، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يقول: أحسن الله إليكم، وإليك، ما حكم لُبْسِ الحلقة مِنْ بعض المعادن التي عُلِمَ نفعها بالتجرِبة في شفاء بعض الأمراض، أنا قرأت أن الشيخ ابن باز رحمه الله قال بجواز ذلك والترك أفضل، فما هو الصواب؟

جِئْنَا بالفتوى، وبعد ذلك نتكلم إن شاء الله، بإذن الله.

هذا يقول: بَعْضُ الحجاج أَمَرَتْهُم البعثةُ بطواف الوداع بعد الفجر وينتظرون إلى صلاة الجمعة ثم يغادرون مكة؟

لأ، إذا صلوا الجمعة يطوفون؛ لأنه لم يكن آخر عهدهم بالبيت الطواف، وإنما كان صلاة الجمعة.

وهذا يقول: كنت أَتَسَحَّرُ وكان المؤذن يؤذن؟

الواجب عليك الكَفَّ، إذا أذَّن المؤذن وهو يؤذن على الوقت تماما، فالواجب عليك الكَفُّ، فإذا أكلت وشربت بعد الأذان فإنه حينئذ يكون هذا اليوم ليس بيومِ صيامٍ، وعليك أن تقضيه، أما إذا كان الأذان مِنَ المؤذن قبل الوقت فلا بأس.

هذا يقول: كيف أدفع الوسواس وهو يأتيني في الموت وفي المصائب ويقول لي: ستموت الآن، ستُصاب بمصيبة، والسبب إني أرى أحلام خبيثة؟

أقول: هذا _أيها الأخ الكريم_ مِنَ الشيطان، وعليك أن تكثر مِنْ قراءة القرآن وذكر الله تبارك وتعالى، فلا تنام إلا على وضوء، وعلى ذكر، ونَمْ على جانبك الأيمن، ثم أقرأ الأذكار؛ أذكار النوم، واستعذْ بالله مِنَ الشيطان ونَمْ، بإذن الله، اقرأ آية الكرسي، فلا يزال عليكم مِنَ الله حافظ إذا قرأتها حين تمسي حتى تصبح ولا يقربك شيطان، وإذا تعريت أو جاءك شيء مِنْ ذلك فاستعذ بالله واثْفُلْ على يسارك وتحوَّلْ مِنْ مكانك الذي أنت فيه، مِنْ منامك الذي أنت فيه، على الجانب الآخر.

وهذا يقول: طلَّق امرأته فماذا ينبغي له أن يفعل الآن؟ وهل لها حقوق عليه؟ مع العلم أنه لا يعيش معها.

أقول: إذا طلقْتَ امرأتَك؛ إن كانت إلى الآن في مدة الرجعة، وكان الطلاقُ رجعيًا؛ فينبغي لك أن تراجعها، راجعْها، أما إذا لم يكن الطلاق رجعيا، أو انتهت المدة، خرجت مِنَ العدة؛ فأنت بالخيار، فإذا كان طلاقُها ليس ببائن؛ بمعنى: أنها لا تحلُّ لك حتى تنكح زوجا غيرك، وانتهت العدة وطلاقُها على هذا النحو: "طلاق رجعي"؛ فأنت إذا شئت أن تتزوج بها مرة أخرى بعقد، جديد ومهر جديد فَعَلْتَ، وإن شئت فهي قد فارقتك وقد خرجت مِنَ العدة.

يقول: تزوجت بنية الرجوع إلى زوجها الذي طلقها ثلاثا بدون إخبار الزوج، هل لها ذلك؟

لأ، ليس لها ذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم للتي فَعَلَتْ مثل هذا: "لاحتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك"، فلا بد أن يكون النكاح نكاح رغبة، لا نكاح تحليل، وإذا كان الزوج هذا لا يعلم لا يدخل تحت الإثم، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله: "لعن الله الْمُحَلِّلَ والْمُحَلَّلَ له"، وسماه: "التيس المستعار"؛ يعني: يُؤتى به ليلقح فقط، فلا إثم عليه إن كان لا يعلم، لكن الإثم عليك، وإذا كنت كذلك فهذا الزواج لا يعتبر شيئا، لا بد أن يكون الزواج زواج الرغبة لا زواج التحليل.

هذا سائل يقول: هل يجوز للمرأة أكل دواء منع الحمل لمدة معينة مع موافقة الزوج على ذلك لتربية الأول؟

لأ، الحمد لله أمهاتنا، ومَنْ قبلنا، ومَنْ قبلنا، ما شاء الله، ربوا، وربوا الخمسة والستة والسبعة، هذا ما هو سبب، وشَبُّوا جميعا ولله الحمد، هذا ليس بسبب، السبب الضعف في الجسم، أو المرض، أو أُجْرِيَتْ للامرأة عملية؛ فقيل لها: إنها على خطر إن حملت سريعا أو في خلال سنة أو سنتين أو نحو ذلك، أما هذا؛ لأ، المقصود أصلا مِنَ النكاح بعد الإحصان والإعفاف هو كثرة النسل، أما تأخذ أربعين سنة أو عشرين سنة مع

الزوجة؛ ما جبتم إلا حبة! هذا ما هو صحيح، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: تناكحوا، تناسلوا، تكاثروا؛ فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة، فهذا ليس بعذر، نعم.

هذا يسأل عن إعطاء الزكاة لمن يعمل معه في المزرعة مِنَ العمال؟

إذا كان تَعْلَمُه فقيرا، ولو كان يأخذ مالا أجرا، إذا كان فقيرا جاز لك أن تعطيه، لكن بشرط ما يكون هذا العطاء استرقاقا له، فتكلفه فوق طاقته، وتحمله فوق طقته، هذا غير صحيح، نعم.

إذا تنوَّعَ التَّمْرُ؛ هل يُزَكَّى كلُّ نوع لحاله؛ يعني: هذا سكري، وهذا ...؟

كُلُّهُ تَمْرٌ، كُلُّهُ تَمْرٌ، نعم، العبرة بالاسم، أنه كُلُّهُ تَمْرٌ.

ولعلنا نقف عند هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[٨].

[٨] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْعِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الثاني مِنْ سلسلة الرسائل إلى طالب العلم

بعنوان: الاجتهاد في طلب العلم.

لصاحب الفضيلة الشيخ العلامة الدكتور: محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى[٩]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، المبعوث رحمةً للعالمين، وحجته على الخلق أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فكما وعدناكم بالأمس، في تتابع المجالس، في الكلام على آداب طالب العلم، وكُنَّا قد بدأنا بالأمس بالأدب الأول الذي يجب علينا جميعًا معاشر طلبة العلم أن نتصف به، وأن نتحلى به، وأن نحققه في أنفسنا، ونُقَرِّرَه في قلوبنا، وأن نجاهد في ذلك حقَّ المجاهدة، وعَلِمْتُم هذا الأدب؛ ألا وهو إخلاص النية.

واليوم نتكلم على الأدب الثاني، الذي ينبغي لطالب العلم عموما؛ طالب العلم الشرعي عموما، في أي فرع مِنَ فروع العلوم الشرعية؛ إذا تخصص، أو بقي على العموم، فلا بد له أن يتصف به.

---

[٩] _ ألقاه في مسجد بدري العتيبي، بالمدينة النبوية _على صاحبها أفضل الصلاة والسلام_، بعد صلاة العشاء، مساء يوم الأحد، في السادس والعشرين، مِنْ شهر ذي الحجة، عامَ ثمانية وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهكذا مَنْ يطلبُ بقيةَ العلومِ عليه أيضا أن يتصف به، ويتحلى به، فإنه لن تُحَصَّلَ العلوم عمومًا، ولا علم الشريعة خصوصا إلا به، ذلكم الأدب هو الجد والاجتهاد في التحصيل والطلب، الجد والاجتهاد في التحصيل والطلب للعلوم.

ونعني بهذا أن يجتهد السالكُ طريقَ العلمِ في تحصيلِهِ لكل الوسائل الممكنة؛ مِنْ قراءة على الشيوخ، وتبكير في المجالس، ودُنُوٍّ مِنَ الشيخ، وقُرْبٍ منه؛ حتى يفقه ما يقول، وذلك إذا ما كانت المجالسُ كبيرةً، فالدنو مِنَ الشيخ له أثره، هكذا التبكيرُ في الوقت؛ فبسببه يدنو مِنَ المعلم، له أثره.

وهكذا الجد والاجتهاد في الكتابة؛ فإن العلم صيد، والحفظ وإن كان الإنسان عنده قوة وحافظة؛ قوة عقلية وحافظة إلا أن الحفظ قد يخونُ صاحبَه أحيانا، فالكتاب أضبطُ كما قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى، فيَحْفَظُ ويَضْبطُ في صدره بقلبه، ويحفظ ويضبط في سَطْرِه بكَتْبِه، فيحفظ بالقلب، ويحفظ بالقلم، فهذا مِنَ الجد والاجتهاد.

وهكذا يحرصُ على حِفْظِ ما سَمِعَ وتَلَقَّى، وذلك بتكراره حتى يحفظه، وتكراره بعدما يحفظه، لِتِقْرَارِه في قلبه، وبمراجعته وتعهده له دائما حتى يكون حاضرًا إذا ما أراد الاستشهاد به.

هذه ثلاثةٌ: حفظه بقلبه، وتكراره لما حفظه في قلبه حتى يتقنه، فإذا أتقنه لا يتركه مِنَ المراجعة؛ هذا هو الثالث، فحفظٌ وتكرارٌ للإتقان، ومراجعةٌ؛ لئلا ينساه، فإن

الشيء إذا تُرِكَ مِنَ المراجعة ومَرَّ عليه الزمن طَرَقَه التهدمُ كالبيت الذي لا يُتَعَهَّدُ، يتهدم، يخرب، فهكذا الاعتناء بالحفظ، إضافة إلى حفظ السطر، نعني بهذا حفظ الصدر، فهذا يحتاج إلى جد واجتهاد، فالحفظ يحتاج إلى جد واجتهاد، والمراجعة كذلك حتى يتقن، والاستذكار له دائما كذلك، لأنه قد يَمَلُّ، والإِمْلالُ سببٌ لذهاب العلوم، إذا مَلَّ الإنسان وترك وانقطع ذهب العلمُ مِنْ بين يديه؛ العلم الذي حصله.

فأما الاعتناء بالحفظ فقد سمعتم مني كثيرا في هذا، وقد ربما أكون أنا قد أَمْلَلْتُ مسامعَكم بذلك، فالحفظ هو العلم، وذلك لأنه الذي مع صاحبه حيث كان، الذي يكون مع صاحبه حيث كان.

علمي معي أينما يممت أحملُه ... بطني وعاءٌ له لا بطنُ صندوقي

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

والآخَرُ، وبيته مِنْ أجمل ما قيل:

تكتب العلم وتلقي في سفط ... ثم لا تحفظ لا تفلح قطّ

إنما علمك ما تحفظه ... مع فهمٍ وتَوَقٍّ مِنْ غلط

فتضمن هذا البيت الحث على الحفظ والفهم والإتقان والوقاية مِنَ الغلط، هذا هو العلم، وهذا يحتاج إلى جهد.

فعلى العبد أن يبذل الجهد لِيُحَصِّلَ.

وقد جاء في صحيح مسلم عن يحيي بن أبي كثير عبارته المشهورة رحمه الله: "إن هذا العلم لا يستطاع براحة الجسد"، أو قال: "لا يستطاع العلم براحة الجسد"، أو قال: "لا يُنال العلم براحة الجسد"، كلها ألفاظ رُوِيَتْ، فراحة الجسد تُفَوِّتُ عليك الكثيرَ مِنَ العلم، فعلى طالب العلم أن يجتهد بقدر ما يستطيع في التحصيل.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "استعن بالله ولا تعجزن، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن"، فيجب على الطالب أن يكون حريصا في هذا الباب، حريصا على الوقت، حريصا على التحصيل، حريصا على الوقت لا ينفقه إلا فيما ينتفع به، وحريصا على التحصيل؛ أن يستغل هذا الوقت كله فيه، فإن العلم كما سمعتم لا يُستطاع براحة الجسد، ولا بالتَّمَلْمُلِ، ولا بالتَّضَجُّرِ، لا يمكن.

واجهد بعزم قوي لا انثناء له ... لو يعلم المرءُ فَضْلَ العلم لم ينم.

فلابد أن تجتهد بعزم وحزم، فالحزم تحزم به نفسك، فلا تتساهل، والعزم تقوية القلب في التحصيل، وعدم الأخذ بالدعة والراحة.

واهجر النوم وحَصِّلْهُ فَمَنْ ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل

إذا عرفت قيمة ما تُحَصِّلُ؛ احتقرْتَ ما تبذله في سبيل تحصيله، فالواجب على طالب العلم أن يتصف بهذا الأدب العظيم الذي هو أصل الخير في الطلب.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله في هذا عبارته المشهورة المأثورة عنه، طلبة العلم يرددونها، والمشايخ يرددونها، وهي مشهورةٌ عنه رحمه الله في هذا الباب، في كتب الحديث، وكتب الآداب التي كتبت في آداب طلبة العلم، وفي أدب طلبة الحديث، كتب علوم الحديث؛ كلها تذكر هذه المقالة عن الشافعي، سطرا واحدا _رحمه الله_ جاء عنه مِنْ أجمل الكلام.

يقول رحمه الله: "لا يطلب العلم مَنْ يطلبه بالتململ، ولا بعزة النفس"، ولا بعزة النفس، لا يطلب العلم مَنْ يطلبه بالتململ، ولا بعزة النفس، "ولكن مَنْ يطلبه بذل النفس، وشدة العيش، وخدمة العلم"، لابد من هذه الثلاثة.

لا يمكن أن يطلبه مَنْ يتململ ويتضجر؛ هذا معنى يتململ، يتضجر، يستثقل العلم، لا يُحَصِّلُه؛ لأن مَنْ تضجر مِنَ الشيء واستثقله تركه، لا بد وأن ينقطع.

وهكذا عزة النفس؛ إذا كان لا يريد أن يلحقه شيء مِنَ المعلم لا تعليم، ولا تأديب، ولا توجيه، ولا تصحيح، ولا تربية، يريد أن يكون سلطانا، والناس كلهم تحته، هذا ما يستفيد، فإن إذلالَ النفس للمعلم مِنْ أعظم الأسباب في تحصيل العلم، والأخذ للعلم مِنَ العالم، فالمعلم مثل الوالد، لابد أن يُصَحِّحَ لك، ولابد أن ينصح لك، ولابد أن يؤدبك، ولا

بد أن يربيك، ولا بد أن يصوّبك، ولا بد أن يقوّمك. ولا بد أن يبتدِأَك بالنصيحة، فلا تزعل، لا تجد في نفسك شيئا عليه في هذا؛ لأنه قد أقام نفسه لك مقام الأب، والأبُ دائما يسعى في صالح الابن، فيؤدبه، ويهذبه، ويربيه، ومَنْ لم يذق مُرَّ التعلم ساعةً ؛تجرع أيش؟ كأس الجهل، أو ذلَّ الجهلِ طُولَ حياته، فلابد من الصبر في هذا الباب، هذا الكلام من الشافعي رحمه الله كلام جميل.

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربوا في هذا المثل، ابن عباس كان يأتي إلى بيت الرجل مِنْ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ الصحابة الكبار كابن مسعود وغيره، فَيَتَوَسَّدُ البابَ حتى يَسْفِيَ عليه السَّافِي؛ التراب، فيخرج فيراه، فيَرِقُّ عليه، ألا آذنتني؟ يقول: لا، هكذا ينبغي.

ويقوم مَعَ الثاني، ويمسك بالركاب، فيقول له: يا ابن عم رسول الله، فيقول: دَعْكَ مِنْ هذا، أُمِرْنَا أن نتواضع لمن نتعلم منه، أُمِرْنَا أن نفعل هذا بعلمائنا.

وهكذا أحمد بن حنبل وجمعٌ كبيرٌ مِنَ السلف، كلهم يقولون: "أُمِرْنَا أن نتواضع لمن نتعلم منه"، فمن لزم عزة النفس في الطلب فاته كثير مِنْ أهل العلم.

وقد قيلَ لشعبةَ _رحمه الله_ لما قسا على بعض طلبته: لو كنت مكانه ما جلست إليك، قال: هو أعقل منك يا أحمق أن يفوت ما عندي مِنَ العلم لشيء رأيته؛ يعني: مِنَ القسوة عليه.

فلابد أن يحتمل، وأن يصبر على ما يراه هو ذُلًّا، وفي الحقيقة ليس بذل، إنما هو تهذيب، وتأديبٌ، وتربيةٌ، وإصلاحٌ لهذا الطالب، وتوجيهٌ له إلى ما ينفعه.

وقديما كنا نرى بعضَ شيوخنا ما أُسْتَاذِيهم كالغلمان، رأينا هذا، أنا الذي أمامكم رأيت شيئا مِنْ هذا، في الستينات وهو مع مَنْ هو أكبر منه في الثمانينات والتسعينات وكأنه غلامُهُ؛ يُقَرِّبُ له عصاه، ويُقَرِّبُ له ماءه، ويأخذ بيده، وربما أخذ بها في المسير يَقُودُه، ولا يتكلم بين يديه، غايةً في الأدب.

بل وأزيدكم بعض مِنْ هؤلاء كانوا قضاةً، قُضَاةً، ليسوا أُنَاسًا عاديين مثلنا نحن طلبة العلم المبتدئين والصغار، وكانوا هكذا مع أشياخهم! وأدركنا ذلك.

فالواجب معشر الأحبة أن يصبر طالبُ العلم حالَ الاجتهاد على ما يلحقه مما يراه مِنْ هَضْمٍ له، وإن لم يفعل ذلك؛ فإنه قد يفوته مِنَ الخير الشيءُ الكثيرُ، فلابد مِنَ الاجتهاد في هذا.

وكذلك التململ والتضجر مِنْ كثرة التعلم وطول التعلم؛ هذا يُنافي الجد والاجتهاد، وهو أولُ مِسْمَارٍ يضرب في نعش الصبر، فإذا تَمَلْمَلَ الإنسانُ فقد عِيْلَ صبرُه، وقد أُوذِنَ بالخسارة، عياذا بالله.

فلابد مِنْ أن يصبر، من أن يحتسب، وعليه أن يصبر في طلب العلم على شَظَفِ العيش وقِلَّةِ ذات اليد.

ونعرفُ كثيرا ممن عرفنا؛ ممن زاملناهم، اشتغلوا بالغنى والتجارة، فلم يُذْكَرُوا في صف العلم والعلماء، ذهب ما عندهم مما كانوا قد تعلَّمُوا؛ فإن الدنيا والآخرة ضَرَّتَانِ، إذا اقتربت مِنْ إحداهما ابتعدْتَ عن الأخرى.

والدليل في هذا الباب حديثُ أبي هريرة، وقد ذكرناه لكم كثيرا عنه رضي الله عنه، قال: "يقولون: أكثر أبو هريرة"؛ يعني: مِنَ الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، "وقد كنتُ امرءًا مسكينا صحبتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم على ملء بطني"، فيقول: "أما إخواننا المهاجرون فكان يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق، وإخواننا الأنصار كانت لهم أرواح يروحون إليها"، يعني: مزارع وضياع يذهبون فيها، يشتغلون بها، وكنت امرءًا مسكينًا صحبتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، كان مِنْ فقراء أهل الصفة رضي الله عنه، "فَحَضَرْتُ وغابوا، وشهدت ولم يشهدوا"، وقد اشتكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يعتريه مِنْ النسيانِ ذاتَ يوم، فقال له: ابْسُطْ رِدَاءَكَ، فَبَسَطَ رِدَاءَه، فَحَدَّا له فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: اجمعْه، فجمعه، فقال: فما نسيت حديثا سمعته مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والشاهد من هذا: أن الإقلال سبيلٌ للإقبال وعدمِ الاشتغال، الإقلال؛ قلةُ ذاتِ اليد سبيلٌ للإقبال؛ إذا كان ما عندك شيءٌ تشتغل به تُقْبلُ على العلم، والإقبال على العلمِ هو بابُ الاشتغالِ به، فمنه تَلِجُ، وفيه تَلِجُّ، منه تَلِج، وفيه تَلِج، وإذا أَكْثَرْتَ ظَهَرْتَ بإذن الله تبارك وتعالى.

النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق، أفضل الناس، أفضل الخلق قاطبة، صلى ذات يوم وفي بيته ذُهَيْبَةٌ قد جِيء بها، تِبْرٌ ما قد فُصِلَتْ مِن تُرْبَتِها، فأشغلته في صلاته، فَسَلَّمَ صلى الله عليه وسلم، ثم قام سَرِيعا إلى البيت فَفَرَّقَها، ثم عاد، ثم أخبر أصحابَه صلى الله عليه وسلم بذلك، وساقه على صيغة السؤال: كأنكم عجبتم مِنَ انصرافي، وذكر لهم القصة، فإذا كان هذا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم الذي ثَبَّتَ اللهُ قلبه وفؤاده بالوحي؛ يَشْغَلُه هذا القليل مِنَ الدنيا فكيف بنا نحن؟ فلم يَرْتَحْ حتى فَرَّقَها؛ لئلا تشغله عما هو فيه.

فالمرءُ إذا فُتِحَتْ عليه الدنيا واشتغل بها ويريد أن يشتغل بالعلم، ما يمكن أن يَتَأَتَّي له هذا، انظرْ لك شريكا أمينا؛ إذا كان عندك شيء مِنْ مال، شريكا أمينا، أو وكيلا أمينا يستصلح لك المال، بمكافأته بقدر ما يعمل في مالك، وأنت تَفَرَّغُ للطلب، هذا إذا كان عندك شيء من الدنيا، أما إذا لم يكن فاعلم أن ما أنت فيه أفضلُ مما فيه هؤلاء مِنْ أمور الدنيا، فإن هؤلاء يموتون وينتهي ذِكْرُهم مع المال، إذا ماتوا تَفَرَّقَ الورثةُ المالَ، مَاتَ

ذِكْرُهُم، وأنت إذا مِتَّ تَفَرَّقَ عِلْمُك مع طلبك، وانتشر بين الناس في كتبك، وبقي ذِكْرُك بين الناس.

ونحن نرى الآن بعضَ أبنائنا وإخواننا _كما قلتُ لكم_ يريد أن يُعَاني التجارة، فيصبح بعد ذلك مع أهل التجارة، ويخرج مِنْ باب العلم، ويَنسى العلم حتى يفارقه تماما.

فالعلم أشرفُ مطلوبٍ وطالبُه ... لله أفضلُ مَنْ يمشي على قدم

فالواجب على العبد ألا يستبدل هذا بهذا، ولْيَحْمَدْ نعمةَ اللهِ تبارك وتعالى عليه، وعليه أن يُداومَ في الطلب، فإنه إذا نَصِبَ وَصَلَ، وانْصَبْ تُصِبْ عن قريب غايةَ الأمل، وانصب: يعني: اتعبْ، اجتهدْ في إتعاب نفسك في وقت التحصيل، تُصِبْ عن قريب: يعني: عن وقت يسير، بعد وقت يسير، غاية الأمل: فَتَصِلُ إلى المكان الأجل والمقام الأعلى، بمعرفتك علوم الشرع، فتصبح مرجعا للناس، يهتدى به، ويقتدى به، ويُصْدَرُ عن قوله، ويوثق فيه، وفي ديانته، وأمانته، ونقله، وهديه، وسَمْتِه، فضلا عن قوله.

فيا طالب العلم اجتهد، واعلم أنه بقدر ما تجتهد بقدر ما تُحَصِّلُ، فمَن توانى لا يلومن إلا نفسه، ومَنِ اجتهد فإنه سيحصل بقدر ما اجتهد.

وإن أردت رقيا نحو رتبتهم ... ورمت مجدا رفيعا مثل مجدِهِمِ

فاعمد إلى سلم التقوى الذي نصبوا ... واصعد بجد وعزم مثل عزمِهِمِ

فلابد مِنَ الجد، ولابد مِنْ ترويض النفس؛ فإن هذا العلم لا يُستطاع براحة الجسد.

وأنتم معشر الأبناء الكرام؛ خصوصا أبناء المدارس الجامعية النظامية، أو المعاهد العلمية؛ لا ينبغي لكم أن تُفرِّطُوا في الأوقات وتَدَعُوا القراءة في الأمهات وتعتمدوا على هذه المختصرات، فيعودُ العلم عندكم مختصرا جدًا مُنَتَّفًا مُمَزَّعًا، عليكم بالأمهات، فإن القراءةَ في أمهات كتب العلوم؛ هذا الذي يُحَصِّلُ به طالبُ العلمِ العلمَ.

أما هذه الْمُذَكِّرَاتُ؛ فهي في الحقيقة مُفَكِّرَاتٌ، تفكر فيها، وتتذكر بها المسائل، وليست هي العلم، وإنما العلم هو الذي تأخذه على الأشياخ في هذه الكتب، فتقرأ الكتب، وتعاني ما فيها، وتسمع هذه الكتب على أهل العلم، وتفهم ما فيها، فتعود وأنت قد قرأت الكتاب الفلاني، والكتاب الفلاني، والكتاب الفلاني، أما أن تعود وأنت معك مذكرة في كذا، ومذكرة في كذا، هذا ليس علما، هذا باب.

الباب الثاني: لا ينبغي الإهمال أيضا في الكتب والعلوم النظامية حتى إذا ما جاء ليلة الاختبار؛ قمتَ تقرأ وتقرأ، وتكون النتيجة ضعيفة، فإن طلبة العلم الحقيقيين أقوياء في العلم في كل أبوابه، في جميع أبوابه، والذي يقرأ في الْحِلَقِ الخارجية يجب أن يكون أقوى مِنَ الذي يقتصر على الكلية؛ وذلك لأنه عنده مِنَ الازدياد ما ليس عند مَنِ اقتصر على مقررات الكلية.

فاجتهدوا _رحمكم الله تعالى_ فإن مَنْ بذل نفسَه وأذلها لتحصيل العلم، يُوشِكُ أن يكون بعد ذلك مرجعا للناس، واعْتَبرُوا بموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام إذ لما قيل له: إن خَضِرًا أعلمُ منه، وهو أفضل أهل زمانه عليه الصلاة والسلام، لما قيل له: إن خَضِرًا أعلمُ، وعنده مِنَ العلم ما ليس عنده، حرص على لقيه، مع أنه أفضل مِنَ الخضر، فهو كليم الرحمن صلوات الله وسلامه عليه.

فيجب أن يكون لنا في قصة موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أقوى دليلٍ على الحرص في تحصيل العلوم، ولو كانت عند مَنْ هو أقل منا.

فليحرص طالبُ العلمِ على هذا، ويتذكر هذه القصة، فإن فيها والله العبرة العظيمة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لمرضاته، وأن يعيننا وإياكم على أنفسنا، وأن يَسْلُكَ بنا وبكم سبيلَ الخيرِ والرشادِ، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١٠].

[١٠] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْعِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

[السؤالات]

هذا لا يضر، يقول: رجلٌ وزوجته طافا طواف الوداع وأكملاه حوالي الساعة الحادية عشرة، قُبيلَ الظهر، والحافلة أتت الساعة الثانية والنصف، بعد الزوال، وذهب فصلى الظهر في الحرم فماذا عليه؟

لا عليه، ما دام هذا هو وقت الفصل؛ هذا يسير، كونه انتهى، كانت الحافلة تأتي في هذا الوقت وانتظر قليلا وصلى الظهر ثم خرج؛ لا يضره ذلك إن شاء الله.

هذا يقول: هل صحيح هذه المقولة: "أنَّ الزواجَ مذبحةٌ للعلم"؟

على حسب حال الإنسان؛ منهم مَنْ يكون الزواج معينا له، ومنهم مَنْ يكون الزواج ذبح للعلم في حقه فعلا، هذا على حسب حال الإنسان، فمِنَ الناس مَنْ يطلب الراحة فإذا تزوج ارتاح، ورزقه الله بامرأة صالحة تعينه، فلا شك أن هذا مِنَ العون، فإن هذا فيه من الهدوء والاستقرار النفسي الشيء الكثير، ومِنَ الناس مَنْ يشغله هذا، ولا شك أنه إذا كان يشغله؛ إذا كان في أول عمره فعليه أن يعتني بالتحصيل وبعد ذلك...، والدليل؟ وأنا ألزمتُ نفسي لكم ذلك: لا أقول لكم شيئا إلا بدليله، ولو لم تسألوه أنتم، فأنا قد ألتزمته لكم سؤالًا منكم لي، الدليل: "ما لنا يا رسول الله إذا كنا عندنا فوعظتنا"؛ أيش؟ "حتى كأنا نرى الجنة والنار عيانا، فإذا خرجنا مِنْ عندك"، وأيش؟ "وعَافَسْنَا الضياعَ والأزواج أنكرنا ذلك مِنْ نفوسنا؟" فقال صلى الله عليه وسلم لحنظلة: "يا حنظلة لو تدومون على ما

تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة"، حنظلة أنكر ذلك مِنْ نفسه؛ فكان حاملا له على أن يجلس في بيته، ويقول: نافق حنظلة، نافق حنظلة، فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فجاء وقال له ذلك، وأخبره عليه الصلاة والسلام.

لا شك أن معالجة الضياع هذه؛ وهي المزارع، ومُعَافَسَةَ الأزواج والأولاد وأمور الدنيا لا شك أنه يشغل الإنسان، فإذا كان كذلك فعلى العبد أن يحرص على التحصيل قبل أن يأتيه الشُّغْلُ الذي يؤخره عن كثيرْ مما يشتهي مِنْ حضور هذه المجالس.

يقول: ما هو الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

الشرك الأكبر هو أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك، تدعوه، وترجوه، وتخشاه، وتَقْصِدُه، وتطلب منه الخير، وترتفد منه العطايا والهبات، وتأمل فيه دفع الشرور عنك وقضاء الحاجات، ونحو ذلك، هذا هو الشرك الأكبر.

أما الشرك الأصغر فهو ما كان دون ذلك؛ كيسير الرياء، وكقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك مِنَ الشرك العملي الذي ليس هو بشرك اعتقادي، هذا كله مِنَ الشرك الأصغر.

والثاني شرك أصغر وهو الريا ... فسره به ختام الأنبيا

وأما الأكبر فهو الذي ذكرناه.

والشرك جعلك ندا للإله ولم ... يشارك الله في تخليقنا أحد

تدعوه ترجوه تخشاه وتقصده ... لدفع شر ومنه الخير ترتفد

وعلمه بك مع سمع الدعاء وقدرته ... وسلطان غيب فيه تعتقد

إلى أن قال:

مثل الأولى بدعا الأموات قد هتفوا ... يرجون نجدتهم من بعد ما لحدوا

إلى أن قال:

وكم قبابا عليها زُخرفت ولها ... أغلا النسيج كساء ليس يفتقد

فهم يلوذون في دفع الشرور بها ... ما لها في قضا الحاجات قد قصدوا

إلى أن قال:

إن لم تكن هذه الأفعال يا علما شركا ... فما الشرك؟ قولوا لي أو ابتعدوا

فأعطيناكم الشرك الأصغر مِنْ هذا، والشرك الأكبر مِنْ هذا، مِنَ المنظومتين.

هذا يقول: في بلدنا البنات يُمنعن مِنْ لبس الحجاب في المدارس، فإذا جاءت البنت لابسة للحجاب لا تُدْخَلُ المدرسة، وإذا امتنع الوالدان مِنْ إلحاق البنت بالمدرسة تَسْلُبُ الحكومة الوالدين حقوق الأبوة، فماذا علينا نحن المسلمين تجاه هذا الأمر؟

اتركْ هذه البلد، بنتك هذه، ما هي بنتهم يدرسونها بالقوة، اتركْ هذه البلد، ارحلْ؛ فكل بلاد الله أوطان، رُحْ لبلاد لا يسألونك عن بنتك ولا جدتك، دَرَّسْتَ ولاّ ما دَرَّسْتَ ما سألوا عنك، فتحفظ بذلك عِرْضَك، والبنت يكفيها أن تعلمها أحكامَ دينها، وما يتعلق بذلك، تقرأ كتاب ربها؛ يكفي، فإذا لم يكن الدراسة لها على نحوٍ تُحْفَظُ به كرامتُها، ويُحْفَظُ به شَرَفُها، ويُحْفَظُ عليك أنت عارُك، فلا تتركْ نفسك في هذه البلاد، لا تقعدْ، ارحلْ، الحمد لله البلاد المسلمة كثير، وكأني بهذا ليس في بلاد المسلمين، نعم، أندونيسيا وماليزيا ونحوها لا يجبرونك، اذهبْ إليهم، وهكذا في السودان ونحوها لا يجبرونك على أن تُدْخِلَ بنتك المدارس، اذهبْ إلى البلد الذي يحفظ الله سبحانه وتعالى عليك فيه عِرْضَك، نعم.

وهذا يقول: بعض الأفراح يقومون بتشغيل الأغاني، ويقولون: في الوقت الفلاني لا يوجد أغاني، فتفضلوا؛ _يعني: وقت الأكل_ فهل نأتي؟

لا تأت إليهم.

وهذا يقول: ذكرتم أنَّ القراءة على المشايخ مَطْلَبُ مُهِمٌّ، فما التوجيه مع ندرتها في هذه الأيام؟

فهم ابني كما يفهم كثيرٌ، أنه لا بد أن يقرأ هو بنفسه، ليس بلازم، أنت إذا حضرْتَ كتابا، مثلا عليَّ أنا، أُمَثِّلُ بنفسي، يُقرأ عليَّ مِنْ قبل أخيك، وأنتم تستمعون، هذه الطريقة حتى في التحمل موجودة، حَدَّثَنا، مع أنه لم يحدِّثه بمفرده، لو حَدَّثَه بمفرده قال أيش؟ حدثني، لكن يقول: حدثنا، أيش يعني؟ يعني: قُرِئَ عليه مع الجماعة كلهم، وهكذا: "أخبرنا قراءةً"، وأنتم ترون؛ عندكم سنن النسائي: أخبرنا الحارث بن مسكين قراءة عليه وأنا أسمع، كان يكفي أن يقول أيش؟ أخبرنا، وتكفيه، لكن للأمانة يقول: قراءةً عليه، يعني: القارئ غيري، وأنا أسمع للوحشة التي حصلت بينهما، ولا أحد تكلم في النسائي وفي تحمُّلِه هذا.

فيا ابني الكريم، أو يا أخي الكريم، أيها السائل الكريم، أكرمكم الله جميعا بطاعته وإيانا، إذا حضرت الدرس مع الشيخ والقارئ غيرك فكأنما أنت القارئ، هذا واحد، الثاني: اعلمْ رحمك الله أن لك الغنم وعلى القارئ الغرم، الخطأ دائما عليه، وأنت سليم، الثالث: أنت أكثر تركيزا؛ فإن القارئَ حالبٌ، والسامعَ شارِبٌ، وفرق بين الذي يحلب والذي يشرب، هذا ما معه إلا التعب، هو يحلب، وأنت تشرب، فهذه نعمة مِنَ الله عظيمةٌ.

فليس المقصد معشر الأخ الكريم، والابن الكريم أن القراءة لابد تقرأ أنت، إن حصل الحمد لله، لكن إن لم يحصل فأنت تقول: قرأنا هذا الكتاب على شيخنا الفلاني، وحَصَلَتْ، ولا أحد ينكر هذا ولا مِنْ قديم.

بل مالك رحمه الله يرى القراءة أعظم على الشيخ؛ لأنه إذا أخطأ القارئ الشيخ يصحح له، بعكس قراءة الشيخ؛ فإنه قد يخطئ وتأخذ الطلبة الهيبة فلا يصححون له، فإذا قرأ غيرُك فأنت في خير، وأنت مشارك له بإذن الله تبارك وتعالى.

وهذا يقول: مِنَ المعلوم، أولا: يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يقول: أحسن الله إليكم، ونقول: وإليك، ثالثا: يقول: أحبك في الله، نقول: أحبك الله الذي أحببتنا فيه، والسؤال: مِنَ المعلوم أن التوحيد ضده الشرك؛ صحيحٌ، والسنة ضدها البدعة؛ صحيحٌ، والعقيدة ما هو ضدها؟

العقيدة ضدها لا عقيدة، وهذه لا توجد إلا عند اللادينيين، لا إله، والحياة مادة، أما بقية البشر فما مِنْ إنسان إلا وله عقيدة، باطلة كانت أو صحيحة، البوذي له عقيدة على بطلانها، والمجوسي له عقيدة على بطلانها، والوثني له عقيدة على بطلانها، وهكذا الموحِّدُ له عقيدة، عقيدتُه إيمانُه بالله تبارك وتعالى، ربًا وخالقا رازقا، إلهًا، سميعًا، بصيرًا، قيومًا، حيًا، عالما، قديرا، متكلمًا، سبحانه وتعالى إلى غير ذلك مِنَ الصفات، لا يستحق العبادةَ معه أحدٌ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وتؤمن بملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، هذه هي العقيدة، ضدها الشرك في هذه الأبواب جميعا، والسنة تعرفها، فضد هذه العقيدة الذي لا عقيدة له؛ صحيحة أو باطلة، لا دين، هؤلاء الذين يقولون: ما فيه إله، والحياة هي المادة، ونموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما نحن بمبعوثين، {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}[11]، فالذين يقولون: خُلِقُوا هكذا في الطبيعة، والطبيعة أوجَدَتْهُم، وكما نسمع في هذه الأيام في إعصار إيرما: "غضب الطبيعة"، قَبَّحَهُم الله، "غضبت الطبيعة" يقولون عليهم، هذا غضب الطبيعة! هذا غضب الرحمن تبارك وتعالى، هذه آية يخوِّفُ الله بها عباده، يخوف الله بها العقلاء مِنْ عباده، أما مَنْ هم في الضلال؛ فنعوذ بالله مِنْ ذلك، ولعلكم سمعتم بالكسوف الذي حصل في أغسطس، آب، في الأيام الماضية، سمعتم ماذا عملوا له في أميركا، ليلة الكسوف الكلي، أو يوم الكسوف الكلي في أميركا، والذي مَرَّ على اثنتي عشرة ولاية تقريبا منها، ماذا قابلوا به هذا الكسوف؟ أجيبوا، الاحتفال بأيش؟ هو تسعة وتسعون سنة، هذه الظاهرة لم تأت على أمريكا مِنْ تسعة وتسعين عاما، لكن أعظم ما قابلوا به هذه الظاهرة العظيمة التي يخوِّفُ الله بها عبادَه أن أقاموا ذلك اليوم الحفل الغنائي الكبير، الذي يقولون فيه ما يقولون مِنْ فِسْقِهم وفُجُوْرِهم، فالشاهد هؤلاء وأمثالهم لا دين لهم أبدا، فهؤلاء الذين لا عقيدة لهم هم الذين يزعمون هذا الزعم الذي ذكرته لكم.

---

[11] _ التغابن (٧).

هذا يقول: هل يلزم طالب العلم إذا رجع إلى بلده أن يكون له تزكية مِنَ العلماء حتى يُدَرِّسَ؟

صحيحٌ، هذا هو الأصل، أو يشتهر بين الناس أنه قد طَلَبَ العلم، ويُعْرَفُ بذلك، ويَشْهَدُ له به الأقرانُ، ويَشْهَدُ له به الشيوخُ إن سُئِلُوا عنه، يقولون: معروفٌ، قرأ علينا، ودَرَسَ علينا، يَشْهَدُ له بذلك أقرانُه الذين كانوا معه فِي الْحِلَقِ، يُعْرَفُ بهذا، يَشْتَهِرُ بالطلب، نعم.

لعلنا نكتفي بهذا القدر، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١٢].

[١٢] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْعِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الثالث مِنْ سلسلة الرسائل إلى طالب العلم

بعنوان: الرحلة في طلب العلم واختيار الصاحب المعين.

لصاحب الفضيلة الشيخ العلامة الدكتور: محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى[١٣]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفوته وخليله مِنْ خلقه أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فتقدم معنا في الليلة الماضية الكلامُ على الأَدَبِ الثاني مِنَ الآداب التي ينبغي لنا معاشر طلبة العلم أن نتأدب به، وأن نتخلق به، ألا وهو الجد والاجتهاد في الطلب والتحصيل، وذكرنا ما فتح الله به علينا، باختصار في ذلك المجلس، وتذكرون مما ذكرنا فيه؛ قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "لا يَطْلُبُ العلمَ مَنْ يطلبه بالتململ وغِنَى النفس فَيُفْلِحُ"، أو "وعِزَّةِ النفس فيفلح ولكن مَنْ طلبه"، بماذا؟ "بذلة النفس، نعم، وبخدمة العلم يفلح"، فَمَنْ طلب العلم بهذه الثلاثة: بذلة النفس؛ إذلالها لمن يتعلم منه ويستفيد منه.

---

[١٣] _ ألقاه في مسجد بدري العتيبي، بالمدينة النبوية _على صاحبها أفضل الصلاة والسلام_، بعد صلاة العشاء، مساء يوم الثلاثاء، في الثامن والعشرين، مِنْ شهر ذي الحجة، عامَ ثمانية وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

والصبر على شَظَفِ العيش الذي هو ضد الغنى والدعة والراحة.

وخدمة العلم؛ القيام بحق العلم؛ هذا الذي يفلح بإذن الله تبارك وتعالى.

وإن مِنْ خدمة العلم الأدبُ الثالث الذي سنتكلم عنه هذه الليلة، ألا وهو الرحلة في طلب هذا العلم وتحصيله، الاجتهاد في الرحلة في طلب العلم.

وأرى أكثركم مِمنْ رَحَلَ _إن شاء الله تعالى_ لطلب هذا العلم، فقد قدمتم مِنْ بلدان متعددة، وأسأل الله جل وعلا ألا يحرمكم أجرَ إخلاص النية؛ الذي تفوزون به فوزا عظيما.

فالرحلة في طلب العلم معشر الأحبة أدبٌ مِنْ آداب أهل العلم، وسنةٌ مِنْ سنن سلفنا الصالحين، رحمهم الله تعالى، بَدْءً بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم التابعين، ثم مَنْ بعدهم وهكذا.

ومما جاء في كتاب الله في الرحلة في طلب العلم قصة ارتحال موسى كليم الرحمن _عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام_ إلى الخضر، وهو دونه في المقام والفضل، لكن لما كان عنده مِنَ العلم ما ليس عند موسى، طلب موسى _عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام_ السبيلَ إلى لُقِيِّهِ، وكان مِنْ أمرهما ما كان، ففي هذا دليل على الحرصِ مِنْ أهل الفضل ومحبي الازدياد مِنَ العلم؛ حِرْصِهِم على الرحلة.

وقصة ارتحال نَفَرٍ مِنْ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لسماعِ حديثٍ مشهورةٌ ومعروفةٌ ومدونةٌ في كتب الحديث.

وهذا الأدب قد كتب فيه الإمام الحافظ الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت _رحمه الله تعالى ورضي عنه_؛ كتب فيه كتابا كاملا، أسماه: "الرحلة في طلب الحديث".

قد كان الصاحب الواحد مِنْ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرحل مسيرةَ شهرٍ لحديثٍ واحدٍ يبلغه أن صحابيا آخر مِنْ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حدَّث به، وهو لم يسمعه مِنَ النبي صلى الله عليه وسلم، فحرص على أن يسمعه مِنْ أخيه؛ ذلكم الصحابي، كما في ارتحال جابر _رضي الله تعالى عنه_ وغيرِه.

وقد كان علقمة والأسود _رحمهما الله تعالى_ وهما في العراق يبلغهما الخبر؛ الحديث عن عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ أمير المؤمنين أنه قال كذا وكذا، فلا يقنعهما ذلك، حتى يَقْدُمَا مِنَ العراق إلى المدينة، فيسلمان على أمير المؤمنين عمر _رضي الله عنه_، ثم يسألانه، فيسمعان، ثم يعودان مِنْ فورهما، طالبين العلوَ؛ السماعَ مِنْ نفس الشخص الذي نُقِلَ الكلام عنه.

فانظر إلى هذه المسافات الطويلة التي يقطعونها مِنَ العراق إلى المدينة ليسمعا خبرا واحدا عن عمر حدَّث به، رضي الله عنه، فيسمعانه، ثم يعودان.

وهكذا فإن السلف _رحمهم الله تعالى_ قد كثرت كلماتهم المضيئة النَّيِّرَةُ في مدح الارتحال في طلب العلم ومدح أهله، وذم مَنْ لم يرحل في طلب العلم.

ولا شك أن المقصود مِنَ الرحلة معشر الأحبة؛ المقصود مِنْ رحلتنا أن نُحَصِّلَ أمرين:

الأمر الأول: هو العلوُّ في الأسانيد وقِدَمُ السماعِ، يعني: حينما تسمع حديثا بواسطة، والذي يُرْوَى عنه لا يزال حيا، فأنت ترتحل إليه، فيحصل لك العلو ولا لأ؟ فتسقط الواسطة التي بينك وبينه، فتقول: سمعته منه مباشرةً، حدثني، فإذا حصل لك السماع منه؛ حصل العلو.

هذا العلو يسمى معه قِدَمُ السماع، يعني: أنك أدركت المشايخ الكبار، فعلوت في الإسناد، وحصل لك تقدم السماع، فبدل أن تسمع عنهم بواسطة؛ سمعت منهم مباشرةً، هذا هو الأصل في رحلة الراحلين في طلب الحديث وتدوين الآثارِ والأخبارِ.

والأمر الثاني: هو الالتقاء بالشيوخ، وحصول مذاكرتهم بالعلم، وهذا عام في الرواية وفي غيرها، هذا الثاني عام في الرواية وفي غيرها، فإنك إذا ارتحلت وبَكَّرْتَ في الرحلة أدركت الكبار وعلوت في الإسناد وتقدم سماعُك، ثم إنك إذا حصل لك ذلك؛ يحصل لك مذاكرة هؤلاء بالعلم، وتسمع منهم ما هو أكثر مِنَ الرواية، فتكون عندك الفوائد، وتكون عندك الزوائد، فَلِأَجْلِ ذلك تستحق أنت فيما بعد أن يُرْحَلَ إليك.

وقد ذَمَّ السلف مَنْ لا يرحل في طلب العلم، وفي أحاديث وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة.

فقال يحيي _رحمه الله_: أربعة لا تُؤْنِسُ منهم رُشدا، وذَكَرَ منهم طالب حديث لا يرحل في طلبه، فلابد مِنَ الرحلة في الطلب.

والآخر يقول: "مَنْ لم يَكُنْ رِحْلَةً لن يكونَ رُحْلَةً"؛ يعني: الذي لا يرحل ويُحَصِّلُ العلو والأسانيد، ويُحَصِّلُ الفوائد والزوائد في الروايات؛ لا يمكن أن يطلبه الناس فيما بعد؛ لأنه لا شيء عنده يجعلهم يرتحلون إليه.

هنا سؤال نطرحه؛ لأنه يُطْرَحُ علينا دائما، وهو: لو كان الرجلُ طالبُ العلمِ لو كان ببلد أهل العلم فيها متوافرون وليس عند غيرهم ما يزيد على ما عندهم، هل يرحل أو لا يرحل؟

هنا كلام لأهل العلم، وقد رجح الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله أنه لا يحتاج إلى الرحلة، لكن عليه أن يحرص على أشياخ بلده فلا يُفَوِّتُ منهم أحدا.

وقديما كانوا يقولون في هذا الباب: ضَيِّعْ ورقةً ولا تُضَيِّعْ شَيْخًا؛ اكتب عنه إذا كان ممن يُكْتَبُ عنه، واجلسْ إليه إن كان ممن يُجْلَسُ إليه، فلعلك لا تدري متى تَحْصُلُ لك

الفائدة منه، فاجلس إليه، فإذا فرغت فانتقل إلى الثاني، وهكذا، فعليه أن يُحَصِّلَ عليهم، هذا الذي ذكره الخطيب ورَجَّحَه.

أما إذا نظرنا في أقوال أهل العلم ممن تقدموه؛ فإنا نجد كلاما خلاف ما ذكره الحافظ الخطيب ومال إليه.

وهو أن عبدالله بن أحمد _رحمه الله_ سأل أباه الإمام أحمد: عن رجل يكتب العلم عن علماء بلده، أَيَكْتُبُه عن شيخٍ ويلازمه ولا يرحل أم أنه يرحل؟

فقال الإمام أحمد _رحمه الله_: "بلى واللهِ يرحل، يرحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة _أو قال: الحجاز_ والشام، يُشَامُّ أهلَ العلم"؛ أيش يُشَامُّهُم؟ يعني: يتطلع إلى ما عندهم، فإنك تقول: شَامَمْتُ فلانا أو شَامَمْت كذا؛ أي: تطلعت إليه، شَامَّ كذا؛ يعني: تطلع إليه، وهَفَتْ نَفْسُه إليه.

وقال بعض أهل العلم: إن الجمع بين كلام الإمام أحمد والخطيب مُتَأَتِّي، فكلام الإمام أحمد يُنَزَّلُ على إذا كان في البلدان ما ليس في بلده، وكلام الخطيب صريح فيما ذكرنا.

ومِنَ الصورة التي ذكرناها عن الخطيب؛ مِثَالٌ لها، أو مِنَ الأمثلة للصورة التي ذكرها الخطيب: "مالك" رحمه الله تعالى، فقد كان بالمدينة ولا يُعْرَفُ أنه رحل؛ ذلك أن

أهل العلم بالمدينة متوافرون، التابعون، أبناء الصحابة وأحفادهم كانوا متوافرين بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم، هذا واحد، فعموم السنة كانت هنا.

الثاني: الناس كانوا يَفِدُونَ على المدينة، فكفاه الله مؤونة الذهاب، الناس يردون عليها، فإذا كان كذلك فلا بأس.

هناك مسألة ثانية في هذا الباب؛ وهي: إذا ما كان طالب العلم ببلدٍ وفيه شيوخ كُثُرٌ؛ فبمن يبدأ؟

قالوا: يبدأ بأعلاهم إسنادا، وأَقْدَمِهِم سماعًا، يبدأ بأعلاهم إسنادا، وأَقْدَمِهِم سماعا، فيأخذ على يديه، ويجلس بين يديه، ويأخذ عنه، ثم هكذا مَنْ دونه، مَنْ دونه، مَنْ دونه، حتى يَمُرَّ على جميع علماء بلده، هذه المسألة الثانية.

المسألة الثالثة: أنه لا ينبغي لطالب العلم أن يرحل مِنْ بلده إذا كان فيها علماء إلا بعد أن يأخذ عنهم، عن عامتهم، ولو قليلا عنْ كل واحد؛ حتى لا يُخْلِيَ عَيْبَتَهُ وجُعْبَتَهُ مِنْ روايته عن أهل بلده، ومِنْ مذاكرته بالعلم لأهل بلده، فلا يرتحل إلا بعد أن يأخذ عَنْ علماء بلده، فإن لم يكن في بلده علماء ارتحل، إن لم يكن في بلده علماء ارتحل.

وَلْيُعْلَمْ أنه ينبغي له في رحلته أن يصبر على قلة ذات اليد، وعلى شظف العيش، وأن يعيش مُتَعَفِّفًا مُتَكَفِّفًا عن الناس، يَكُفُّ نفسَه، ويَصُونُ ماءَ وجهه، وإذا احتاج إلى أن

يعمل عَمِلَ ولا يسأل، إن وُجِدَتْ أوقافٌ على طلبة العلم دَخَلَ فيها، وإلا صَانَ نفسه، وصيانَتُه لنفسه لِأَجْلِ العلم الذي يحمله، فإن طالب العلم إذا أهان نفسه، وأذلها بالسؤال لم يُقم له الناس وزنا، واستخفُّوا به، ولم ينزلوه منزلته التي يجب أن يُنْزَلَهَا؛ لأنه هو قد تنازل عنها.

فأوصيكم معشر الأحبة أنه إن جاءكم شيءٌ مِنْ هذا المال ممن لا يُخْشَى منه كأهل الأهواء والبدع ونحوهم، مِن غير ما طلب، ولا مسألة؛ فخذوا، وتقووا به على طاعة الله.

وإن علمتم المصدر؛ أنه مصدرٌ مشبوه فلا تأخذوا منه، واصبروا، وَلَأَنْ يأكل أحدكم الخبزة الجافة مع الماء مع بقاء ماء وجهه وكرامته وإعزازه للعلم وصيانته لسمعة حَمَلَتِهِ؛ هو مأجور على ذلك كله، خيرٌ له مِنْ أن يَتَكَفَّفَ الناسَ.

وإذا احتاج فَلْيُنْزِلْ حاجَتَه بعد الله جل وعلا بأخَصِّ الناسِ وأقربهم إليه، فإن لم يكن فلينظرْ أكرمَ الناس؛ فإن إنزال الحاجة بعد الله بأكرم الناس لا تجد وراءه إلا الخير، فإن الكريم على اسمه كريم، يواسي مَنْ يحتاج إلى المواساة، ولا يرى أن له فضلا عليه، بل يرى الفضل لمن جاءه محتاجا إلى المساعدة؛ إذ رآه أهلا للفضل، وأهلا للكرم، فخصه بذلك، فلا يبخل على طلبة العلم مَنْ وفَّقه الله ووسَّع عليه بأن يواسيهم، والله سبحانه وتعالى يخلف على مَنْ أنفق في سبيل الله تبارك وتعالى.

فإذا رحل طالب العلم فعليه بالأدب الرابع ألا وهو أن يتخذ صاحبا معينا له، يعينه على غربته، ويعينه على قطع الطريق؛ قطع المسافات الطويلة، فيقطعها مع صديقه ورفيقه في الرحلة ولا يشعر بالسآمة ولا التعب.

ثم يعينه بالغربة؛ لأنه مِنْ أهل بلده فيأنس إليه، فلا يَحِسُّ بأنه اغترب عن بلاده، ولا عن أهل وطنه، إذ معه منهم مَنْ يعرف حالتَه وطباعَه وعاداتِه وأخلاق أهل بلده وما عندهم مِنَ الأعراف فيألفه، كما أن ذاك الصاحب أيضا يألفه، فيتآلفان ويتوافقان.

فصديق الرحلة أقرب إليك مِنَ الأخ مِنَ النسب، وإذا صحبْتَ فاصحبْ الماجدَ الطيبَ الصالحَ في دينه، إذا صحبْتَ رفيقا لك في الرحلة فاصحبِ الماجدَ الكريمَ _وإياك واللئيمَ_ الطيبَ الأعراف والأخلاق الصالح في دينه، وفي خلقه، فهذا الذي يعينك بإذن الله تبارك وتعالى.

أَضِفْ إلى ذلك أن يكون عاليَ الهمة؛ فإن عالي الهمة يأخذ بيدك وتعلو، وإياك وأهل البطالة والكسالى وضعيفي الهمة، فإن مَنْ كان بهذه المثابة ينزل بك عن مكانتك إلى مكانته، ينزل بك عن مكانتك إلى مكانته، فيثبطك، ويكسبك الكسل والتهاون والركون إلى الدعة والراحة، وعدم التعب في التحصيل، فحينئذ لا تُحَصِّلُ شيئا، أو أنك تُحَصِّلُ شيئا يسيرا لا يساوي الوقت الذي أنفقته في الرحلة الطويلة هذه أو الشاقة أو المكلفة.

وقديما قيل: الصاحب ساحب، والمجالَسُ مُجَانَسٌ، والمرء على دين خليله فلينظر مَنْ يخالل .

وإذا صاحبْتَ فاصحَبْ ماجدا ... ذا حياءٍ وعفافٍ وكرم

قولُه للشيء لا إن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعم

يعني: يطاوعك، لا تجلس أنت وإياه في مشادة ومشاقة ومشاحة، دائما في خصام واختلاف، لأ، إنما تصحب هذا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول للرفيقين عندما أرسلهما إلى اليمن: "وتطاوعا"، الآن تطيعه وغدا يطيعك؛ فتحصل الألفة، الآن تخالفه وغدا هو يرد بالمثل يخالفك؛ فتحصل المنافرة، وحينئذ ما يكون عونا، وإنما يكون نقمة عليك، حتى تتمنى أنك ما رحلت معه.

فالصاحب إنما سُمِّيَ صاحبا؛ لأنه يعينك ويصحبك في كل أمورك وفي كل شؤونك، فيخفف عنك الثقل، ويفرج عنك الهم، ويكشف عنك الغم بإذن الله تبارك وتعالى، ويُسَلِّيك إذا ضاقت نفسك، ويصبرك إذا عال صبرك، ويُحَسِّنُ لك طريق الخير وإن كانت شاقة، فيُنْعِشُكَ، وأيضا يحثُّكَ على الاستمرار في الخير، فالصاحب ساحب، والصاحب مؤثر تأثيرا بليغا فيمن يصحبه.

فعلى طالب العلم أن يصحبَ مَنْ يعينه؛ لأنه يحتاج في هذه الرحلة إلى أمورٍ كثيرةٍ، ومِنْ أهمها المقصد الذي ارتحل له، يحتاج إلى الصبر في لقاء الشيوخ والدوران عليهم، والجلوس بين أيديهم، والسماع منهم، والتبكير إلى مجالسهم، فإذا وجد الصاحب الذي يعينه حَصَّلَ بإذن الله، وإذا لم يَلْقَ الذي يعينه، بل حَصَّلَ صاحبا على العكس حُرِمَ، والعياذ بالله، فانتقاءُ الصاحب أَمْرٌ مطلوبٌ معشر الأحبة.

ومِنْ ذلك _هذه الأيام_ الصاحب الذي يكون معك في الدار، في الغرفة، في السكن؛ احرصْ أن يكون صالحا، أن يكون ذا همة، أن يكون ذا أخلاق عالية وكرم، وأن يكون صاحب صدق وإخلاص ونصح، فإن هذا يعينك بإذن الله تبارك وتعالى.

فإذا وُفِّقَ طالبُ العلم للصاحب الفاضل في رحلته فإن هذا مِنْ فضل الله تبارك وتعالى عليه.

ولعلنا نكتفي بهذين الأدبين هذه الليلة، فيكون المجموع كم؟ أربعة آداب، وإن شاء الله تعالى نكمل ما يتبقى لنا في لقاءات قادمة، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان[١٤].

[١٤] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْعِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

[السؤالات]

هذا عن طريق الشبكة، فنحن نستأذنكم الليلة أن نقدمهم، ونخصهم بشيء مِنَ الوقت، يقول _السؤال الأول_: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يقول: حياكم الله، ونقول له: حياك الله أيضا ومرحبا بك، يسأل يقول: ما حكم صلاة أهل الأعذار على الكراسي منفردين عن الصفوف وفي بعض الأحيان يصلون لوحدهم في نهاية المسجد؟

أقول: إن هؤلاء إذا كثروا فليكن الصف الأمامي لمن ليس مِنْ أهل الأعذار، وليَصُفُّوا هُمْ خَلْفَهُم، أربعة كراسي، خمسة كراسي، الذين يصلون على الكراسي، مُقْعَدِيْنَ، ما يستطيع لا ركوع، ولا سجود، يصلون خلفهم، فإن جاء جماعة؛ دخلوا بعد ذلك صلوا في جانبي الصف الذي فيه هؤلاء، وإن كان المسجد مليئا وتأخروا في آخر الصفوف فلا بأس بذلك، والحمد لله.

وهذا سؤال مِنْ فرنسا: كيف نقنع أبناءنا بطلب العلم، خاصة علم التوحيد والعقيدة وهم قد كَبرُوا ونَشَؤُوا ببلاد الكفار؟

هذه هي المصيبة، وهذه هي الثمرة التي كنا نصيح مِنْها، مِنْ زَمَنٍ بعيد، على إخواننا الذين يسكنون في بلاد الكفار، وأن البلاء ليس عليهم هم الآن، وإن كنا مَنْ يأمن البلاء على نفسه، لكن _في الجملة_ البلاء على مَنْ؟ على الناشئة، الجيل الذي يأتي

فيُولَدُ في تلك البلاد، ويتربى فيها منذ نعومة أظفاره، لا يرى إلا ما عليه أهل تلك البلاد مِنَ الشر والفساد والعياذ بالله، هذا مِنْ آثاره.

نقول: عليك، أو عليكم أيها الإخوة الذين تسألون هنا _الظاهر إنهم مِنْ إخوة متعددين_ عليكم بترغيبهم، وتذكيرهم بأنهم أبناء المسلمين، وأنهم ليسوا مِنْ أهل الكفر في شيء، وترقيق قلوبهم في هذا الجانب، فإذا رَقَّتِ القلوب أقبلوا بإذن الله تبارك وتعالى، وما دام قد كَبِرُوا فليس أمامكم إلا الترغيب لهم، فأنتم لا تقدرون؛ لا تضربونهم، ولا تحبسونهم، ولا تجبرونهم، فإنكم ستقعون في شر عظيم، وهو فِرَارُ هؤلاء؛ فيَتَلَقَّفُهم أهلُ الكفر والفجور والفساد، وربما اسْتَعْدَوا الدول الكافرة عليكم أنتم، فأُخِذْتُم وحُوكِمْتُم وحُبِسْتُم، فَلَحِقَ الضررُ بقية الأسرة، لأ، عليكم أن تُسَايسُوهم، وأن تلاطفوهم، وعليكم أن تستعملوا معهم ما يرقق القلوب، فلعل الله جل وعلا أن يقذف في قلوبهم الخير ويرقوا، ونسأل الله التوفيق لنا ولكم.

وهذا يقول: شيخنا بارك الله فيك _هذا مِنَ الإمارات_ ما معنى قول الإمام الآجُرِّي _رحمه الله_ في مقدمة كتابه الشريعة: "أحمده شكرا لِمَا تَفَضَّلَ به علينا مِنْ نِعَمِه الدائمة وأياديه القديمة"؟

المراد "بالأيادي" هنا إضافةً إلى إثباتِ الصفة لله جل وعلا؛ المراد به لازم هذه اليد، وهو الكرم والْمِنَنُ والعطايا التي مَنَّ الله بها علينا سبحانه وتعالى، فالمراد بالأيادي

القديمة؛ يعني: مِنَنُهُ العظيمة القديمة على مَنْ كان قبلنا، فإن اليد تُطْلَقُ ويُرَادُ بها النعم، تطلق ويراد بها النعمة، هذا المراد به، مع إثباتِ اليد لله جل وعلا، النعم التي مَنَّ بها، بدليل قوله: "لِمَا تفضَّل به علينا مِنْ نِعَمِه الدائمة، وأياديه القديمة"؛ يعني: نِعَمِه القديمة.

وأيضا مِنْ ناحية الصفة؛ فإن صفات الذات، الصفات الذاتية قديمةٌ قِدَمَ الذات.

وفي هذا ردٌّ على أهل الكلام مِنَ الملاحدة والزنادقة الذين ينفون الصفات بحجة إذا أثبتنا هذه الصفات قلنا بأنها قديمة، وإذا كانت قديمة لزم تعدد القدماء، وإذا تعدد القدماء فهذا عندهم محال!

نقول: هذا كلامٌ باطلٌ؛ لأنها هذه الصفة إذا أُثْبِتَ أنها قديمة، وهي قديمة؛ هي لا تقوم بذاتها، وإنما تقوم بغيرها، تقوم بغيرها، وهو الرَّبُ سبحانه وتعالى، فليس لهم وجهٌ في هذا، كلامهم باطل.

فإثبات هذه الصفات لله تبارك وتعالى ثابت بالنقل وبالعقل عند جميع العلماء الربانيين وعقلاء الآدميين، ولكن مَنْ طمس الله على بصيرته واستحكمت الشكوك على قلبه، أو في قلبه لا حيلة فيه، نسأل الله العافية والسلامة.

وهذا سؤال رابع مِنَ الفلبين: يقول: أكثر المسلمين في الفلبين يقولون: لا ينبغي للمسلمين أن يرجعوا في الاستفتاء للعلماء في السعودية لأنه يوجد في بلادنا علماء كثيرون وهم أعلم بأحوالنا، فهل هذا القول صحيح جزاكم الله خيرا وجعلكم الله مباركين أينما كنتم؟

أقول: أولا: أنا لا أظن أن أكثر المسلمين في الفلبين يقولون هذا، لكن الإخوان المسلمين أكثرهم يقولون هذا _إن لم يكن كلهم_، والعالِمُ ؛ عالم أمة، عالم شريعة، عالم إسلام، ليس حِكرا على بلد، وليس حكرا على طائفة مِنَ الناس دون غيرهم، فلا هو حكر على بلد، ولا هو محصور في أحد، مَنِ احتاج إلى العلم سَأَلَه، وإذا سُئِلَ أفتى بما يقوم عليه الدليلُ عنده مِنَ الكتاب والسنة، هؤلاء هم العلماء.

وأما القول: بأنه لا ينبغي لأهل الفلبين أن يرجعوا إلى العلماء في السعودية ويستفتوهم؛ هذا كلامٌ _كما قلت_ غيرُ صحيح، وعلماء السعودية مِنْ خِيْرَةِ علماء العالم الإسلامي، هم غُرَّةٌ في جَبِيْنِ هذا الدهر، هم أنصارُ اعتقاد أهل السنة والجماعة، والقائمون بذلك.

وأعني بالعلماء العلماءَ الذين عَلَا صيتُهم، وذاع في الدنيا شرقا وغربا عِلْمُهم، واشتهر بين الناس إمامتُهم، وعُرِفُوا بالفقه في الدين أصولًا وفروعًا، والأمر الرابع: عُرِفُوا _ولله الحمد_ بصحة الاعتقاد، والأمر الخامس: عُرِفُوا بالصدق والنصيحة والورع،

بالصدق والنصيحة لدين الله، ثم لعباد الله، والسادس: عُرِفُوا بالورع، فإذا أشكل عليهم الأمرُ، أو أشكلت عليهم المسألةُ ولم يتبين لهم رجحانُ طَرَفٍ على طَرَفٍ أخذوا بالأَحْوَطِ لدين الله تبارك وتعالى، هؤلاء هم العلماء الذين إذا أَطْلَقْتُهُم في السعودية أَقْصِدُهُم؛ لأنه قد ظهر في الآونة الأخيرة مشايخ قنوات؛ أصحابُ انتماءات ودعوات، فلا يُعَمَّمُ كلامُ محمدٍ بنِ هادي عليهم، فوالله، ثم واللهِ، ثم واللهِ هذه الصفات لا تشملهم.

وإنما هذه الصفات على أمثال شيخنا شيخ الإسلام الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله، والشيخ أحمد بن يحيي النجمي رحمه الله، والشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي رحمه الله، والشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله، هكذا بقية المشايخ الذين هُمْ على هذا الدرب؛ الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله، والغديان؛ الشيخ عبدالله بن غديان رحمه الله، وهكذا مَنْ ذكرت ومَنْ لم أذكر ممَّن هم على هذه الصفة، فإن الذين نذكرهم مِنْ أهل العلم الأحياءِ والأمواتِ هم مَنْ تنطبق عليهم هذه الصفات، أهل النصيحة لدين الله تبارك وتعالى.

وأما اليوم فقد كَثُرَ مشايخُ القنوات، وأصبحوا يتسابقون لكسب الأصوات، مَنْ يحبه الناس! أو يحبه أكثر الناس! هذا هو الذي أصبح المطلوب عند مشايخ القنوات، أعاذنا الله وإياكم مِنْ فتنة الشهرة، أعاذنا الله وإياكم مِنْ فتنة حُبِّ الشهرة، أعاذنا الله وإياكم مِنْ فتنة حُبِّ الشهرة، إنه جواد كريم.

فالعالم أينما كان إذا كان عالما؛ فإنه يُسْتَفْتَى، فقد يَسْتَفْتِي صاحبُ الشرقِ صاحبَ الغرب، ويَسْتَفْتِي صاحبُ المغربِ صاحبَ المشرقِ، وصاحبُ الشمالِ صاحبَ الجنوبِ، وصاحبُ الجنوبِ صاحبَ الشمالِ، وهكذا ما دام يَعْلَمُه عالِمًا وهو أهلٌ لأن يُسْأَلَ، فهذا الذي ينبغي أن يُسْأَلَ.

والعلماء لا تَحُدُّهُم الحدودُ الجغرافية، ولا الحدودُ السياسية، وإنما يرفَعُهم ويَنْشُرُهم بين الناس ويرفَعُهم عِلْمُهم بالله _تبارك وتعالى_ ودينِه وشريعةِ نبيِّه محمدٍ _صلى الله عليه وسلم_ وقيامُهُم بها، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم جميعا، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد[١٥].

[١٥] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْعِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الرابع مِنْ سلسلة الرسائل إلى طالب العلم

بعنوان: أدب التواضع للشيوخ

لصاحب الفضيلة الشيخ العلامة الدكتور: محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى[١٦]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، قيوم السموات والأراضين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصَفِيُّه وخَلِيلُه، رحمتُه للعالمين، وحُجَّتُه على الخلق الأجمعين، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد انتهت المجالس السابقة بما يسَّر الله سبحانه وتعالى فيها أيها الأحبة مِنَ الكلام على بعض الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها.

أولها: الإخلاص لله جل وعلا ومعالجة النفس في هذا الباب.

وثانيها: الجد والاجتهاد في الطلب والتحصيل، والعلو بالهمة في هذا الباب.

وثالثها: الرحلة.

---

[١٦] _ ألقاها في مسجد بدري العتيبي، بالمدينة النبوية _على صاحبها أفضل الصلاة والسلام_، بعد صلاة العشاء، مساء يوم الأربعاء، في التاسع والعشرين، مِنْ شهر ذي الحجة، عامَ ثمانية وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ورابعها: اتخاذ الصاحب المعين، الناصح في هذا الجانب.

واليوم إن شاء الله تعالى نتكلم على أدب لابد لطالب العلم أن يتأدب به بعد وصوله إلى موضع الدرس الذي يريد أن يصل إليه.

ذلكم هو التواضع بين يدي العالم، التواضع للأشياخ الذين تتعلم على أيديهم، وتتربى على موائد علمهم، وتتغذى بفوائد علمهم الذي اقتنصوا شوارده، وقيدوا أوابده، وسلموه لك سهلا ميسرا بعد أن تعبوا فيه، أفنوا فيه أعمارهم، وأزهقوا فيه أوقاتهم، وهجروا فيه راحتهم، وها هم الآن يؤدونه إليك، رحمةً منهم بك، وإحسانًا إليك، وشفقةً عليك، ومحبةً للخير لك، حَنَّوا عليك، وحَدَبُوا عليك، حنين العِشار على أولادها.

فالواجب عليك أن تَأَدَّبَ لهم كما تَأَدَّبُ لوالد الجسد، فإن المعلم والد، فذاك أبو الروح، وهذا أبو الجسد، فإذا كان والدك الذي تنسب إليه هو والدك أصلا وحقيقة، وهو كذلك؛ لأنك تسلسلت مِنْ صلبه، فهذا أيضا والدك؛ والد الروح، هو الذي ربّاك، وهو الذي علّمك، وهو الذي أهَّلك، وهو الذي خرَّجك، فينبغي أن تتواضع له، كما تتواضع لوالدك؛ والد الجسد، وأن تحترمه، وأن تُجِلَّه، وأن تعظِّمَه، فإن في ذلك الخير كله، فإنه إن رأى منك ذلك؛ ازداد في عطاء الخير لك، وإهدائه إليك وإن لم تسأله عنه.

ولْيُعْلَمْ أن هذا سمت؛ أن هذا الذي ذكرت؛ هو سمت الأولين، فقديما كانوا يقولون، ويروى ذلك عن عمر رضي الله عنه: "تواضعوا لمن تعلمون منه، وليتواضع لكم مَنْ

تعلمون"، أنت اليوم متعلم، وغدا معلم، فإذا كنت في أيام تعليمك لن ترضي بقلة الأدب معك، ولا بجفوة الطلاب لك، ولا بسوء عشرتهم معك، فاعلم أنك لن تؤتى ذلك إلا إذا قمت بحقه أثناء تعلمك.

توقيرك لشيخك واحترامك له، وعدم التقدم بين يديه، والتواضع بين يديه، وإظهار الحاجة إلى علمه، ولزوم السمت والأدب بين يديه، إذا تكلم بالمسائل ولو كان عندك علم ببعضها، هذا هو الواجب.

إجلالُه وتبجيلُه وإظهارُ تعظيمه هذا هو الواجب.

الذب عنه في غيبته، وحفظ عرضه، هذا هو الواجب.

ذكر محاسنه، ونشرها بين الناس، والثناء عليه بها، لا بالمبالغة والكذب والباطل، هذا هو الواجب.

وهكذا، فالواجب أن يُتَأَدَّبَ مع المعلم.

إن المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يُكرما

فاصبر لدائك[١٧] إن جفوت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما

١٧ _ قال الشيخ حفظه الله موضحا لمعنى الداء: لمرضك.

المعلم وارثُ النبي صلى الله عليه وسلم؛ والواجب أن تتأدب مع وُرَّاثِ النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا أحسنت الأدب بين يديه وُفِّقْتَ لاستجلاب الخير وتحصيله مِنْ بين يديه.

وكثير مِنَ الناس في هذا الزمن الذي جاءت فيه الشهادات الرسمية يُفَرِّطُ في هذا الجانب، ولا يرعاه حقَّ رعايته، وإذا تخرج مِنَ الكلية، أو زاد على ذلك وصار ماجستيرا، أو زاد على ذلك وصار دكتورا؛ تبجَّح بملء فيه قليلُ الأدب قائلا: "تساوت الرؤوس"! لا والله، أَوَ تستوي الكؤوس والفؤوس؟! إذا تساوت الكؤوس والفؤوس فقد تساوت الرؤوس، كيف يستوي هذا وهذا؟! هذا زجاج أقلُّ شيء يكسره، قليلُ العلم، قليلُ البضاعة، ولو ترقى ووصل الدكتوراه الآن! لكن دكتوراه وماجستير في جزئية فقط، هذا إذا اعترف بأنه تساوت الرؤوس.

وبعضهم يزيد في قلة حيائه وللأسف، فشيخه ليس بدكتور وهو قد تدكتر فيرى نفسه أكبر وأكبر، وهذه مصيبة عظيمة نسأل الله العافية والسلامة، وتذكرني بقصة أبي حنيفة رحمه الله مع أبي يوسف، واحفظوا هذا الوعد سيأتي إن شاء الله ذكرها لكم في وقتها مع هذه الآداب.

الشاهد: أن هذا الأدب ألا وهو التواضع، هذا قد أمر الله سبحانه وتعالى به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر

بعضكم على بعض"، فإذا كان هذا بين عموم المسلمين فيما بينهم، فكيف إذا كان بين طالب وشيخه، وتلميذ ومعلمه، فإذا ظهر على الطالب بدايات الكِبْرِ والعُجْبِ والغرور فاعلموا أنه قد حُرِمَ تحصيل العلم، هذه بداية الحرمان.

سائل يسأل: يقول: كيف؟ أقول له: الجواب هو الآتي؛ إذا رأى نفسه قد وصل، وتساوت الرؤوس، فتح له حلقة كأبي يوسف مع أبي حنيفة، احفظوا هذه الجملة، سيأتي إن شاء الله الكلام على القصة بأكملها، إن شاء الله، فتح له حلقة وقال: أنا الشيخ، أنا الشيخ، وهنا يرى نفسَه _كما قيل_ وشيخَه في مرتبة واحدة، وإذا انفصل بنفسه جاء بالبلية؛ وذلك بأن يُحَدِّثَ بحضرة مَنْ هو أولى منه في البلد، فلا يجلس إليه مع ترك الكبار إلا مَنْ ضَعُفَ عِلْمُه وقلَّ، وسَخُفَ عقلُه، فإن العاقل إذا ورد على بلد وكان بها الكبار لا يجلس إلى الصغار، وإنما يقبل على الكبار لما تقدم معنا؛ وذلك لحصول الأمرين الذين سمعناهما في اللقاء السابق وحكيناهما عن الخطيب البغدادي رحمه الله، حينما ذكرنا الغرض مِنَ الرحلة؛ وهما: علو الإسناد وتقدم السماع بكبر السن، الأخذ عن الأكابر، فالبركة معهم، فلا يُعْدَلُ عنهم.

نحن نرى في هذه الآونة العكس تماما، نرى بعض الصعافقة الذين ظهروا في هذه الأيام، صعافقة رأوا أنفسَهم قد صاروا بمنزلة الشيوخ، وتناسوا إن كانوا قد علموا، وأنا أحلف أنهم لم يعلموا أيامَ الشيوخ الأولى، بل ولا شهدوها في مُعَارَكَةِ الشيوخ لأهل الأهواء

والبدع، ووقوفهم في وجوههم سَدًّا منيعًا وحصينًا في نُصْرَةِ السنة وإزهاق البدعة، هؤلاء بعضهم ما وُلِدَ أو مولودٌ، وعلى أعلى تقدر يدخل الابتدائي، فيأتي الآن ويرى نفسَه مع الشيخ الفلاني، أو الشيخ الفلاني.

مما يزهدني في أهل أندلس ... أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

ينتفخُ يَحْسِبُ نفسَه أسدًا وهو هِرٌّ، يأتيه جروٌ صغيرٌ يأكله، هرٌ يأتيه جروٌ صغيرٌ يأكله، ويظن نفسَه أسدًا.

هؤلاء الذين ظهروا الآن؛ أنا أسميهم بالصعافقة، لماذا؟ هم سَبَّبُوا ذلك لأنفسهم، لا يستحون، بالأمس خَرَجَ، يقول: "استوت الرؤوس"!!! أو "تساوت الرؤوس"!!! مسكين.

هذا لن تروه بعد ذلك في حلقة عالم، خذوا الكلام مني، لم؟ لأن الكِبْرَ قد أخذ بشغاف قلبه، والعُجْبَ قد تمكَّن مِنْ نفسه، فمن أخذ الكبر بشغاف قلبه، والعجب قد تمكن مِنْ نفسه فهذا لن يجلس بين يدي الشيخ مرة أخرى، كيف وقد تساوى رأسه برأس الشيخ؟! فحينئذ يحرم الخير.

وأنا سأسوق لكم شهادة عن صادقٍ إمامٍ معتبرٍ يؤنب بذلك نفسه، وليس هو على أخلاق هؤلاء، أبو سلمة ابن عبدالرحمن، أبو سلمة ابن عبدالرحمن كان يعارض أبا هريرة رضي الله عنه في بعض الأشياء، حتى جاء يوم مِنَ الأيام فصار في مسألة الجماع والإكسال، الجماع والإكسال، الجماع معروف، والإكسال أنه لا يُنْزِلُ، يجامع لكن لا يقذف ماء، يسمى أيش؟ إكسالا، فكان أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث: "إذا قعد بين شعبها الأربع وجهدها فقد وجب الغسل أنزل أم لم ينزل"، وكان أبو سلمة ابن عبدالرحمن يعارضه في هذا الباب، ويقول: "إنه لا يكون إلا بالإنزال"؛ إذا أنزل يغتسل، أما إذا جامع ولم ينزل لم يغتسل، فهذا قد نسخ؛ لأن أصله حديث: "الماء من الماء"، "إنما الماء من الماء"، هذا في أول الإسلام ثم نُسِخَ، فأبو هريرة على الناسخ، وهذا المنسوخ معلومٌ له.

فالشاهد رَفَعَ إلى عائشة القضية أم المؤمنين رضي الله عنها، الفقيهة، فقَبْلَ أن تفتيه مَعَ خلافه مع أبي هريرة أَدّبَتْه، رضي الله عنها، ومِنْ تواضعه رضي الله عنه، وإنصافه هو الذي يروي لنا هذه القصة، يقول: فقالت لي: أتدري ما مثلك يا أبا سلمة مع أبي هريرة؟ قلت: لا يا أمه، قالت: "إنما مثلك مع أبي هريرة كمثل الفروج سمع الديكة تصيح فأراد أن يصيح معها"؛ وصوت الفروج الصغير هل هو كصوت الديك؟! أسألكم، لأ، الديك يصيح فيوقظ القرية، والفروج يصيح لا يسمعه مَنْ بجانبه، فشبَّهَتْ علمه القليل بصوت الفروج

القصير الذي لا يسمعه أحد، بجانب علم أبي هريرة بصوت الديك الطويل البعيد المدى الذي يسمعه كل أحد، فبُعْدُ الصوت إشارةٌ إلى سعة علم أبي هريرة، وقصر الصوت وضعف الصوت وخفة الصوت إشارة إلى علم مَنْ؟ أبي سلمة ابن عبدالرحمن، وماذا يأتي علمه في علم حافظ الأمة؟! ومع هذا يذكر هذه القصة.

ثم ذكر عن نفسه شيئا آخر، هذه القصة يذكرها عن نفسه رحمها الله، هذا مِنْ أدلة تواضعه.

ويذكر عن نفسه رحمه الله متأسفا فواتَ علمٍ كثيرٍ عليه مِنْ عبدالله بن عباس، يقول: "لقد فاتني علم كثير منه بسبب المماراة له"؛ يعني: المعارضة له، ابن عباس دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوات المشهورات، "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"، أبو هريرة دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحفظ، فما نسي حديثا سمعه رضي الله عنه، فما منزلة مَنْ لم يدع له النبي صلى الله عليه وسلم مع مَنْ دعا له النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا شك أن البونَ واسعٌ، والفرقَ شاسعٌ.

فينبغي لطالب العلم أن يعرف مقداره، وأن يعرف لأهل العلم مقدارهم.

وأزيدكم شيئا؛ وهو أن شعبة رحمه الله الإمامَ العلمَ يقول: "مَنْ تعلمتُ منه حرفا"، ويروى: "مَنْ علمني حرفا عَدَدْتُ له نفسي عبدا ما دام حيا"، عددت له نفسي عبدا ما دام حيا.

انظرْ إلى قول أمير المؤمنين في الحديث شعبة في تواضعه مع مَنْ تعلَّم منهم، وانظر إلى هؤلاء الصعافقة الذين جاؤونا اليوم، ويريدون أن يجعلوا أنفسهم دِيَكَةً وهم فراريج.

وفي الحقيقة الناس الذي لا يعرفون السابقة لا يعرفون المعاصرة فضلا عن اللاحقة، الذي لا يعرفون الأمور في أوائلها لا يعرفون نتائجها في أواخرها، لكنهم يعيشون ولا يعلمون الأمور المحيطة بهم؛ لأنهم ما أخذوا المقدمات، فيعرفوا النتائج والخاتمات التي تترتب عليها.

فيجب معشر الأحبة علينا جميعا أن نتأدب بهذا الأدب، فنتواضع لمن نتعلم منه، كما أننا نحب أن يتواضع لنا بَعْدُ مَنْ يتعلم منا، وهذه الكأس ستشربها كما أَشْرَبْتَها، فمَن عقَّ شيوخَه عقَّه تلاميذُه، ومَنْ بَرَّ شيوخَه برَّه تلاميذُه.

وقد حكيت لكم قبل ليلتين أني قد أدركت لكم من هذا الباب أمرا عجبا، فقد أدركت تواضع الطلبة مع أشياخهم وهم في أعلى المراتب الشرعية: "قضاة، قضاة"، قاضي شرعي شنين طويلة مع بقاء شيخه يأخذ بيده يقوده، ما كأنه إلا والده الذي تسلسل مِنْ صلبه، يجلس بين يديه لا يتقدم بين يديه بشيء، لا بقول، ولا بحركة، ولا بإشارة، غاية في الأدب، أما إذا سأل فوالله الذي لا إله غيره، والذي أنفاسي بيده الآن كأنه مِنْ أصغر الطلبة يسأل الشيخ وهو بهذه المنزلة.

لكن لأن هؤلاء الصعافقة لم يعرفوهم، ولم يعاشروهم، ولم يعايشوهم، ولم يدركوا الطلب على هذه الصورة؛ أصبحوا يقولون هذه المقالة، وبعضهم وإن لم يقلها بلسانه، يطبقها ويترجمها بحاله، هذا شيء.

وأكثر مِنْ ذلك أن تكون مثل هذه الأقوال تَصْدُرُ مِنْ عِصَابَةٍ من الصعافقة، فهذه العصبة مِنَ الصعافقة؛ هذا يجعل مِنْ ذاك علامة، وهذا يجعل مِنْ ذاك شيخا كبيرا، وذاك يجعل مِنْ الثالث محدثا، أو مربيا أو...، أو...، أو... قل ما شئت مِنَ الألفاظ الكاذبة التي يجب على مَنْ قيلت بحضرته أن ينكرها لو كان أهلا لها، فكيف بها وهي كذب؟! هذا ما عهدناه يوم أن كنا ندرس على أشياخنا.

معشر الأحبة؛ ما أحسن العلم يزينه التواضع، فإذا نُزِعَ التواضع مُحِقَتِ البركة، واعلمْ أنك بعد قليل ستُرْمَى، وسيعقك الطلبة إن وُجِدَ لك طلبة كما عققت أشياخك، فهذا دين لا بد أن تأخذه قبل أن تغادر، فإن عقوق الوالدين يعجل لصاحبه في الدنيا، وهكذا عقوق الأشياخ الذين علموك وأحسنوا لك، واللهِ لتذوقن عقوبته في الدنيا.

فاحرص يا طالب العلم على البعد عن ذلك، يقول الإمام مالك رحمه الله فيما كتب به إلى الرشيد رحمه الله: "إذا تعلمت علما فاعرف حقه ولْيُرَى عليك سمتُه وآثارُه" أو كما قال رحمه الله.

العلماء يؤدبون بكتاب الله جل وعلا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومما يعلمونه لطلابهم الأخلاق الحميدة والآداب الجميلة، والتي منها التواضع.

فإذا بقينا على تواضعنا مع أشياخنا وإن شابت لحانا، ما دام أشياخنا أئمة السنة وعلماء السنة أحياء فابشروا بالخير، ولنبشر به جميعا، وأما إن نحن عققنا في هذا الجانب شيوخَنا فلننتظرْ أن يعقنا طلابُنا جزاء وفاقا.

وأسأل الله جل وعلا أن يرزقني وإياكم الإخلاص في القول والعمل، والتواضع له ظاهرا وباطنا، وامتثال ما نقول قبل أن نطلب غيرَنا به، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان[١٨].

[١٨] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

[السؤالات]

هذا سيلٌ مِنَ الأسئلة أو السؤالات، شيء منها عبر الشبكة؛ ميراث الأنبياء، وشيء منها مِنْ طريقكم بأيديكم، نجيب عن سؤالين فقط مِنَ الأسئلة الواردة عبر الموقع؛ ميراث الأنبياء، والباقي لكم.

السؤال الخامس يقول: صاحبه مِنَ الجزائر، هذا مِنَ الشبكة، مِنْ موقع ميراث الأنبياء، يقول: أحسن الله إليكم شيخنا، نقول: وإليك، ثم يُقْسِمُ أنه يحبني في الله، وأنا أقول له: أحبك الله الذي أحببتني فيه، وجعلنا الله وإياك والحاضرين والمستمعين مِنَ المتحابين فيه إنه جواد كريم، سؤاله يقول: هل يجوز إعطاء الزكاة لحفر البئر الإرتوازي للمسجد علما بأن أهل هذه البلدة قد عجزوا عن حفره؟

نقول: لأ، مصارف الزكاة قد حددها الله جل وعلا وبيَّنها، وليس فيها اجتهاد، فلا اجتهاد مع النص، {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ}[١٩] الآية، وذكر الثمانية الأصناف، فلا يجوز إخراجها في غير هؤلاء، وأما أن يُحْفَرَ بئرٌ بتبرع عام فلا بأس، وعلى الإخوة هؤلاء أن يتعاونوا ببذل شيء مما مَنَّ الله به عليهم، فيجتمع المال ويحفرون بئرا إرتوازيا، أما صرف الزكاة في حفر الإرتوازات فلا.

---

[١٩] _ التوبة (٦٠).

وهذه امرأة مِنَ السعودية نسأل: هل يجوز زيارة أقارب الميت في منزلهم للتعزية لمدة عشر دقائق مثلا؟

نعم، يجوز أن تذهبي إلى أقارب الميت، سواء كانوا أقارب لك، أو جيران لك، وتعزيهم ثم تنطلقين عائدة، وإن جئت معك بشيء مِنَ الطعام يوم العزاء تهونين به عليهم؛ فهذا مِنَ السنة جزاك الله خيرا، ولعلنا نقف على هذا.

هذا يسأل: أحسن الله إليكم شيخنا وبارك فيكم، وأنا أقول: وإليك، أحسن الله إليك وبارك فيكم جميعا، يقول: حفظكم الله، أقول: وإياكم، هل للآيات؛ الإعصار، يعني: الريح الشديدة مع الرعد القوي صلاةٌ تُصلى وهكذا الزلازل المدمرة الشديدة؟

عند الحنابلة نعم، يُشرعُ ذلك، وعند الباقين لا، والذي دلَّتْ عليه الأدلة الصحيحة أن الصلاة إنما هي في الكسوف والخسوف، وأما ما عداها فلم يثبت فيه دليل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما المطر الشديد فإنما يُشرعُ _إذا كان مستديما_ الجمعُ، إذا كان في وقت تجمع فيه الصلاتان، صلاة المغرب والعشاء أو ظهر وعصر، والمطر مستديم وشديد فلا بأس حتى لا يشق على الناس، نعم.

صَرْفُ الدراهم بالشيكات، يعني يشتري شيك بأحد عشر دينارا مثلا _مؤجلا كأنه_ ويأتي يبيعه، يقول: في السوق السوداء نقدا بكذا.

أقول: إذا كان دولار بدينار هذا لا بد فيه مِنَ التقابض، يجوز الزيادة، ولكن يبقى التقابض، أما دولار بدولار لابد مِنَ التساوي والتقابض، دينار بدينار لا بد في مِنَ التساوي والتقابض والله أعلم.

هذا يقول: ما حكم ما يُعرف بـ[الْمِيْشْ] ترون قراءتي له تشبيها، ليس عن علم، يعني: لا أعرف ضَبْطَ هذه الكلمة، فإذا كانت صحيحة فبينوا، وإن كانت خطأ فبينوا، وهو يشبه الصبغة، هكذا يُنْطَقُ؟ هكذا [الْمِيْشْ]؟ طيب، يجعل الشعر، أنا أول مرة واللهِ أقرؤه، لا أتذكر أني قرأت مثل هذه الكلمة، وهو يشبه الصبغة، وهو يجعل الشعر خط أصفر وخط لون الشعر _يعني: أسود؟_؟

على كل حال إذا كان تغيير هذا الشعر بما هو مستطاب عُرْفًا؛ كأن يحوِّلُه إلى الشُّقْرَةِ، أو إلى الحناء مثلا؛ فلا بأس، هذا معهود، أما أن يحوِّلَه كألوان مضحكة كالمهرجين؛ هذا مِنْ أفعال مَنْ لا خلاق لهم، ولا ينبغي للمسلم أن يستعمله، أو يحوِّل نفسه كأنه حيوانات في شعورها، إما شاة، وإما قرد، وإما ذئب، وإما ثعلب أو نحو ذلك، فهذا لا يجوز؛ لأنه تغيير لخلق الله إلى الصورة القبيحة، والله قد خلق ابن آدم في أحسن تقويم.

فالواجب عليه، فالواجب على المرأة أن تتقي الله في نفسها، وأن تعرف هذا الباب، وعليها أن تلتزم فيه بالآداب، وما خلق الله سبحانه وتعالى عباده عليه خير لهم مما يتدخلون فيه، ويغيرون به.

وما جاء التغيير إلا بما نصت عليه السنة، يعني إذا جاء الشيء المستكره كالشيب مثلا، الناس تكره الشيب، فإذا جاء الشيب تغيره بما هو أحسن، بالحناء، بالْكَتَمِ، بالألوان الأخرى اللطيفة، باللون العُوْدِي، ونحو هذه مِنْ هذه الأصباغ ونحوها، لكن لا يكون بالأسود فإنه لا يجوز، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حينما قُدِمَ عليه بأبي قحافة رضي الله عنه عام الفتح، كان قد أسلم، رجلا كبيرا، كفيفا، وقد رأى رأسه كالثغامة، يعني: أبيض، قال: "غَيِّرُوا هذا الشيب وجنِّبوه السَّوَاد"، فيجب أن تُغَيَّرَ هذه الصورة لأن النفس ما تحب صورةَ الشيب، فيغيره بما هو مُجَمِّلٌ له، لكن بغير السواد.

هذا يقول: إذا كان هناك شخص لا يتمكن مِنْ فعل بعض أركان الصلاة على الوجه المشروع لعذر يمنعه مِنْ ذلك، كمن لا يستطيع أن يجلس الجلسة بين السجدتين وللتشهد؛ لمرض في رجله، فهل يتقدم لإمامة المصلين أو يدعها لمن يصلي الصلاة على هيئتها المشروعة؟

لأ، لا يتقدم ويدع غيره ممن يصلي بالناس الصلاة بصفتها التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في حال واحدة، وهي إذا لم يكن ثَمَّ مَنْ يقرأ، ويحسن الصلاة

بالناس، ولا يوجد إلا أنت؛ فإنك حينئذ تتقدم لحاجة الناس إليك، فإذا كنت لا تستطيع الجلوس بين السجدتين لمرض ونحوه تكون شبه الواقف، على ركبتيك، لا تجلس، لا تعطف الركبتين، ثنيهما، فإذا جاء الجلوس للتشهد تَرَبَّعْتَ، تجلس جلسة المتربع، بهذا الشرط، أما إذا كان _الحمد لله_ في المكان غيرك فلا تتقدم وأنت على هذه الحال والله أعلم.

هذه نخلْلِيها إن شاء الله ما دام المسألة طلاق فقط، ومشاكل عائلية، نخلْلِيها للقاء القادم، هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد[٢٠].

[٢٠] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء الخامس مِنْ سلسلة الرسائل إلى طالب العلم

بعنوان: لزوم الآداب مع الشيوخ والبعد عن العجب والغرور

لصاحب الفضيلة الشيخ العلامة الدكتور: محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى[٢١]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، قيوم السموات والأراضين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رحمته إلى الخلق أجمعين، وحُجَّتُه _سبحانه وتعالى_ على المعاندين، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا الموعد اليوم _كما وعدناكم_ نواصل الكلام فيه على الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلَّى بها، وقد ذكرنا _فيما سبق_ خمسة آداب، أليس كذلك؟

الأول: الإخلاص.

والثاني: الجِدُّ والهمة في التحصيل.

والثالث: الرحلة.

[٢١] _ ألقاه في مسجد بدري العتيبي، بالمدينة النبوية _على صاحبها أفضل الصلاة والسلام_.

والرابع: اتخاذ الصاحب والصديق.

والخامس: التواضع.

واليومَ نتكلمُ على أدبٍ مهمٍ صِنْوِ التواضع، صِنْوِ التواضع، صنو؛ يعني: أخ، {وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ}[٢٢]، "عَمُّ الرجل" _يقول النبي صلى الله عليه وسلم_ "صِنْوُ أَبِيْهِ"؛ الصِّنْوُ هو "الأخ" هنا.

فهذا الأدب هو صِنو الأدب الذي تَقَدَّم، أخوه، توأَمُه، ليس فقط أخًا، لأ، بل توأمٌ.

هذا الأدب _معشر الأحبة_ إذا كان الخامسُ هو التواضع، فالسادسُ هو لزوم الآداب مع الشيوخ والبعد عن العجب والغرور، البعد عن العجب والغرور.

فيجب على الطالب أن يتأدب مع شيوخه، أو شيخه الذي لازمه، فيلتزم الآداب الشرعية والأخلاق المرعية في هذا الباب، فلا يتقدم بين يديه بكلامٍ إذا حَضَرَ مجلسه، ولا بغمزٍ ولا لمزٍ إن قَعَدَ بين يديه، ولا بمقاطعةٍ لكلامه إن تكلم، ولا بإلحاحٍ عليه في السؤال إن سَكَتَ؛ فيضجر منه، ولا يكثر مداخلتَه في الحديث، ولا يبادر إلى إجابةٍ إن سُئِلَ الشيخ، فإن هذا المجلس ليس له، وإنما هو مجلس الشيخ، فعليه أن يلتزم بالأدب،

[٢٢] _ الرعد (٤).

وهكذا لا ينفرد بحَلْقَةٍ حتى يُقْعِدَه الشيخ في ذلك، أو يَأْذَنَ له، فعلى هذا مضى سلفُنا الصالحون معشر الأحبة.

فمالك رحمه الله، وهو مالك، ما قعد حتى شَهِدَ له قرابةُ سبعين، فَقَعَدَ للتدريس.

وسفيان بن عيينة _رحمه الله_ ما قعد بمكة حتى أجبره شيوخُ مكة على الجلوس للتحديث، فكان يقول ويتململ: إنه "ليس عندي شيء"، فيقولون له: "عندك حديث الزهري"، فيقول لهم: فلان وفلان وفلان... ويَذْكُرُ "مالك"، فيقولون: "عندك ما ليس عند هؤلاء"، حتى أقعدوه، والقصص في هذا كثيرة.

فعلى طالب العلم أن يَلْزَمَ التواضع والبعد عن الإعجاب والغرور؛ فإن العُجْبَ مهلكٌ لصاحبه، ومَنْ تصدَّر قبل أوانه فقد تصدَّى لِهَوَانِهِ، مَنْ تَصَدَّر قبل أوانه فقد تصدَّى لهوانه.

واعلموا أن الاحترام للشيوخ مِنَ الطلاب هو مَفَاتِحُ الأبواب، احترامُ الطلاب مفاتحُ الأبواب، فإن هم احترموا شيوخهم، وبَجَّلُوهم، ووقَّرُوهم؛ نالوا الخير منهم، وذلك بتحصيل العلم على أيديهم حتى يتأهَّلُوا، وإن هم تقدَّمُوا بين أيديهم ولما يتأهَّلُوا؛ انفضحوا وكُشِفُوا بين الناس.

وكنت قد وعدتكم بقصة أبي يوسف مع أبي حنيفة رحمهما الله، أليس كذلك؟ فهذا وقت الوفاء، أبو يوسف _رحمه الله_ يعقوب القاضي أول مَنْ لُقِّبَ بأقضى القضاة _رحمه الله_ في تاريخ الإسلام _فيما نعلم_، وقد كان أبو حنيفة _رحمه الله_ يحبه حبا جما؛ لما رأى فيه مِنَ النباهة والنبوغ والذكاء وقوة الفهم، لما رأى فيه مِنَ النجابة والنباهة والنبوغ وقوة الفهم، حتى إنه أخذه على أُمِّه، وكانت تضربه؛ لا يَحْضُرُ مجلس العلم، وتريد أن يَتَكَسَّبَ لها؛ يعني: يَكُدُّ ويَكْدَحُ لِيُحَصِّلَ لها وله لقمةَ العيش، فسألها: ما مقدار ما يُحَصِّلُ كلَّ يوم، قالت: درهمين. فتكفل لها بالدرهمين على أن تُفَرِّغَه للتعلم، ولم يزل به يؤدبه ويربيه ويغذيه بالعلوم حتى نبغ.

فمرض مرةً مرضا شديدا جدا، فزاره أبو حنيفة، ورأى الوجعَ قد اشتد به، فتأسَّف عليه كثيرا، فلما خرج، قال: "آهْ يا أبا يوسف، قد كنت أُعِدُّكَ للناس مِنْ بعدي"؛ يتأسف عليه، خشي أن يكون هذا المرضُ مُهْلِكَهُ؛ لأنه رأى المرض اشتد به.

فسمع ذلك مَنْ مع أبي حنيفة مِنْ طلابه، وانصرف أبو حنيفة، شَفِيَ بعد أيام أبو يوسف، وكان أولَ ما نَشِطَ اغْتَسَلَ ولَبِسَ ثِيَابَهُ ثم قام مسرعا، فقال له بعض مَنْ رآه ولقيه: إلى أين؟ قال: إلى الدرس، إلى أبي حنيفة، فقال له: ألم تتعلم هذه المدة كلها؛ فلا تزال تريد الدرس؟ وقد قال فيك أبو حنيفة ما قال، فقال: ما قال؟ فذكروا له عبارة أبي حنيفة، أنه حينما زاره، يوم أن كان مريضا، بعد ما خرج مِنْ بيته، قال: "آه يا أبا

يوسف قد كنت أعدك للناس من بعدي"، يعني: أنك قد بلغت مبلغا تصلح فيه لأَنْ تجلس للدرس، هكذا فهموا، وهذا وَارِدٌ، ولكن ليس قطعا، كنت أعدك للناس مِنْ بعدي، يعني: بعد أن أذهب، تستزيد مِنَ العلم وتواصل، فتخلفني، ما هو تجلس معي، قال: فخرج أبو يوسف حتى جاء المسجد، فجلس ناحيةً منه، وأبو حنيفة في حلقته، وجلس إليه بعض الناس، ومَنْ قَعَدَ قُعِدَ إليه، فقال أبو حنيفة: مَنْ هذا؟ قالوا: أبو يوسف، قالوا مَنْ؟ أبو يوسف يعقوب، قال: "أَبَى أبو يوسف إلا أن نَقْشُرَ له العصا"؛ يبغانا نؤدبه، نقشر له العصا؛ يعني: يُوَخِّرُ اللحاء مِنْ على العصا فيجلده حتى يؤدبه، لكن بطريقة أخرى، قال: أَبَى أبو يوسف إلا أن نَقْشُرَ له العصا؛ واضح؟ يعني: نُوَخِّرُ عنها اللحاءَ الجلدَ حتى تبقى بيضاء، يُجْلَدُ بها، هذا معناه، أَبَى أبو يوسف إلا أن نقشر له العصا.

كم مِنَ الناس اليوم يحتاجون لِقَشْرِ عصا أبي حنيفة مِنَ الصعافقة؟ ما أكثرهم.

معشر الإخوة؛ ذلك لِمَا يأتي؛ مجلس الدرس ليس مجلسا تُلْقِي كلمتك وتمشي، أو درسك، مجلس الدرس يَؤُمُّه المستفتون، يُقَلِّدُونَك دينهم، ويعولون عليك في مسائلهم، فَتَحَمَّلُهم في ذمتك، فلا يجوز لك أن تقعد إلا بعد ما تأهل.

والمجالس العلمية المكشوفة هي الكاشفة الفاضحة، أما المجالس اليوم لشيوخ المحجبين؛ الباب سهل، تسمعه يَهُذُّ فيها هَذًّا، تظنه يَذْكُرُ ذلك حفظا، وهو يقرؤه مِنَ الكتب، ويُلقِي في الميكروفونات، ويُنْقَلُ في الإنترنتات، وهكذا.

فالشاهد: يقول أبو حنيفة: أَبَى أبو يوسف إلى أن نقشر له العصا، ثم نادى أحد طلابه، فقال له: اذهبْ إليه واسألْه هذه المسألة: قُلْ له: إن رجلا أخذ ثوبه إلى القَصَّار لِيُقَصِّرَه له فجحده؛ يعني: لما جاء يطلب الثوب جحده، أنكر أن يكون أعطاه ثوبا ليقصره له، فهل يستحق الأجرة على التقصير _يعني: القصار الخياط_ أو لا يستحق؟ فإن قال لك: "يستحق"؛ قلْ له: أخطأت، وإن قال لك: "لا يستحق"؛ قلْ له: أخطأت، ففرح هذا الطالب بتأديب أبي حنيفة لأبي يوسف،

وكم مِنَّا اليوم مَنْ يحتاج إلى أن يَقْشُرَ العصا لمن قَعَدَ وليس كأبي يوسف؟ ولم يبلغ عُشْرَ مِعْشَارِ أبي يوسف، هذا يحتاج السياط ما هو العصا.

كما قال ربيعة _رحمه الله_: "إن أناسا هنا أحقُّ بالسجن مِنَ المجانين"؛ يعني: الذين يَفْتَئِتُون على العلم وليسوا أهلا له.

الشاهد: فأخذ المسألةَ ذلكم الرسول؛ رسول أبي حنيفة وذهب إلى أبي يوسف، وقد قال له أبو حنيفة قَبْلُ: "فإنه يُحِبُّ أن يُسْأَلَ"؛ يعني: يَتَطَلَّعُ، صار عنده شهوة أيش؟ التَّصَدُّرِ، التَّمَشْيُخِ، فسأله؛ فقال له: أيها الشيخ؛ ما تقول في رجل، في رجل دفع ثوبه إلى القصار ليقصره له فجحده فاشتكاه على الشُّرَطِ فجاؤوا فأخرجوه مِنْ دكانه، وجدوه عنده، أيستحق الأجرة أو لا يستحق؟ قال: يستحق، قال له: أخطأت.

واختلفت الرواية هنا: فبعضهم قال: أنه لا يستحق، فقال له: أخطأت، وبعضهم اقتصر على الجزء الأول.

فقام إلى أبي حنيفة حتى وصل إلى حلقته، فسلَّم عليه، فلم يلتفت إليه أبو حنيفة رحمهم الله جميعا، فجاء مِنْ أمامه، وبَرَكَ على ركبتيه أمامه، وسأله السؤال، فقال له: أجبْ، ألست شيخا؟! أنت الذي تجيب أنت الشيخ، ما هو بأَنَا، أنت الذي رُحْتَ في الحلقة، وما شاء الله؛ شيخ، أَجِبْ.

قال: ما المسألة؟ قال: التي تعرفها، قال: أجب أنت الشيخ، فلم يزل يتأدب معه، ويتلطف معه، حتى بلغ أبو حنيفة منه ما أراد، مِنْ تأديبه وتأنيبه.

ثم قال له: يا يعقوب: إن هذا الرجل؛ يُنْظَرُ إلى صنيعه، فإن كان قَصَّر الثوب _بعد ما وجده الشُّرَطُ في الدكان وأخرجوه_ فإن كان قصر الثوب على مقاس صاحبه الذي جاء به، فاعلمْ أنه يستحق الأجرة؛ لأنه إنما قَصَّرَه على طول صاحبه لكن جحده، وما دام وُجِدَ يُعْطَى الأجرة، ويؤدب على الجحد، وإن كان قَصَّرَه على طول نَفْسِه، فهذا لا يستحق الأجرة؛ لأنه نوى مِنْ أول وهلة أن يأخذه لنفسه.

فعاد أبو يوسف إلى حلقة أبي حنيفة وبقي بها حتى جاء اليوم الذي قال فيه شيخُه: "يا يعقوب إنك إن لزمت هذا العلم"، ويكلم ذلك بذلك يعقوبَ وأُمُّه تسمعُ يومَ أن كانت تمنعه مِنْ أن يأتي إلى الدرس، وقال لها: دعيه، ثم قال له: يا يعقوب _وهي

تسمع_ قال: إن تركَتْهِ في هذا المجلس فإني أعلمه ما يأكل به الفالوذج بزيت الفستق، والفالوذج لا يؤكل إلا على موائد الملوك، وأكله أبو يوسف على مائدة الرَّشِيد، وذكر شيخَه أبا حنيفة، ودمعت عيناه، ودعا له، وذكر ذلك للخليفة.

معاشر الأحبة؛ إن التَّقَدُّمَ بين يدي المشايخ، والعجب والغرور بما أوتيه بعض الناس مِنْ شيء مِنَ العلوم، ثم يَرَى نفسه نِدًّا للشيوخ، فيضع رأسه برؤوسهم؛ هذا بلاء عظيم، لأنه يُدْفَنُ به صاحبُه ويُقْبَرُ سريعا، وتُرْدَمُ عليه الحجارة، والحجارة التي تردم عليه حجارة الفضيحة، كلَّ يوم يُسْأَلُ فيأتي بمصيبة، فَيُرْمَى بالجهل اليومَ، وغدًا، وبَعْدَ غدٍ، وربما رمي بالجهالات المتعددة في اليوم الواحد، بل في المجلس الواحد.

فيجب على طالب العلم أن يتفقه قبل أن يُسَوَّدَ؛ لأنه إذا بلغ بداية التَّسْوِيدِ دخله العُجْبُ والكِبْرُ، ورأى نفسه نِدًّا لمن تعلم على يديه، ووضع رأسه برأسه، فيَهْلَكُ بسبب ذلك، نسأل الله العافية والسلامة.

وأعجب مِنْ ذلك في هذه الأزمان أن بعض الصعافقة ممن لم يتأصل هو؛ يريد أن يقيم دورات تأصيلية _كما بلغني_، جاءني بعض الفضلاء، وذكر أقواما يريدون أن يقيموا دورات تأصيلية، قلت: لمن؟ قال: لأبنائهم، قلت: ما لهم أبناء هؤلاء، [التَّوَّة] هم؛ هم أنفسهم فراريج، أين أبناؤهم؟ هؤلاء هم يحتاجون إلى التأصيل، وتكلمْتُ معه بما يجب في هذا، فذهب ولم يَعُدْ إليَّ، لا أدري: أأعجبه كلامي أم أنه لم يعجبه؟ الذي يهمني أنا أني

بذلت له النصيحة، وحسبي أن ينقلها إلى هؤلاء الفراريج، وإلى هؤلاء الصعافقة، الذين بعضهم لا يُحْسِنُ أن يقرأ سطرا واحدا بدون لحن، هذه مصيبة وفضيحة، فهؤلاء مِثْلُهُم يؤصلون؟! أبو يوسف أقلُّ شيء عنده فقه، شهد له أبو حنيفة، وهؤلاء أين هم؟ لو سألت بعض هؤلاء أن يَعُدَّ لك كُتُبَ الفقه الحنبلي في كتاب فقهي؛ ما ذكرها لك بالترتيب! التراجم فقط! كتاب كذا، كذا، كذا ...إلى كتاب الإقرار، ما ذكره عَدًّا؛ فِهْرِس! لو قلت له: الفقه: كم نوع؟ ما أجابك، وأنا أغششهم الآن؛ أقول لهم: أربعة أنواع، لكن تحت كل نوع؟ أجبْ.

وأقصد بعض هؤلاء الصعافقة، في هذه الأزمان، في كثير مِنَ البلدان، والناس قد فُتِنُوا _معشر الأحبة_ بصعافقة مشايخ التويتر ومشايخ الفيس بوك؛ مشايخ مواقع التفاصل الاجتماعي، ومشايخ النت المحجبين، الذين يُدَرِّسُون مِنْ وراء الشاشات، ولا يخرجون على الناس، فيسمعونهم _كما قلتُ أولَ الكلام_ فيظنونهم حفاظا، وما علموا حقيقة أمرهم؛ أنهم يقرؤون مِنَ الكتب، لكن هذه المجالس المكشوفة كاشفة، تُخْرِجُ الرجلَ على حقيقته، وتُعْرَفُ الدراهم والدنانير مِنَ الزيوف، يُعْرَفُ الصحيح مِنَ المغشوش.

أيها الإخوة؛ إن العبد وطالب العلم بالأخص ما دام مستصحبا للتواضع بعيدا عن العجب والغرور فهو على خير، فإن رَكِبَه الْعُجْبُ والغرورُ فقد أُصِيْبَ في مَقْتَلٍ.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا وإياكم جميعا للفقه في دينه، والبصيرة فيه، وأن يورثنا وإياكم التواضع، وأن ينجينا وإياكم مِنَ الغرور والعجب، وأن يعيذنا وإياكم والدعوة السلفية مِنَ الصعافقة الذين تَزَبَّبُوا قبل أن يُحَصْرِمُوا، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين[٢٣].

[٢٣] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

[السؤالات]

هذا سؤال عبر الموقع؛ موقع ميراث الأنبياء، الشبكة هنا، يقول السائل أو سائلة مِنَ الجزائر؛ تقول: شيخنا الفاضل، كيف نتعامل مع أخي الذي يكذب كثيرا حتى لم نَعُدْ نَثِقُ بكلامه، مع أننا نصحناه وذَكَّرْنَاه بالله؟

يعني: لم ينتصحْ، كيف تتعاملون معه؟ هذا أنتِ قد ذكرتِ شيئا مِنَ الجواب، الجواب: أولا: أنه لا يُوْثَقُ بكلامه؛ فالكاذب تسقط أخبارُه، وكفى بهذا عقوبةٌ لمن يكذب، فلا يُصَدَّقُ ولو صَدَقَ في بعض المرات، فهذا مِنْ أشد العقوبات له.

الثاني: ما دُمْتُمْ نصحتموه ولم يرجع، وذَكَّرْتُمُوه بالله جل وعلا ولم يتذكر فالواجب أن تنصحوا للناس فيه، فإذا رأيتم مَنْ يتقبل أخبارَه، قولوا له: لا تصدقْه؛ هذا كاذبٌ، حتى لا يُبْنَى على أخبارِه، فلربما غَشَّ الناس، ولربما فَتَنَ بين الناس، ولربما أَشْعَلَ الْإِحَنَ بين الناس والعداوات، عياذا بالله مِنْ ذلك.

والواجب عليكم أن تهجروه بعد ما زجرتموه، بعدما زجرتموه اهجروه، لعله يتوب.

وبيان توبته بأن يَثْبُتَ مَرَّاتٍ وكَرَّاتٍ نَقْلُهُ، ويظهر للناس صِدْقُه فيه، وذلك باعتباره بالآخرين الذي ينقلون مثلَ ما يَنْقُلُ، فإذا صَحَّ حالُه؛ الحمد لله وإلا تبقون على

متابعة النصيحة له _ولا تسأموا_ وزجرِه عن مثل هذا الخُلُقِ السيء، ونصيحةِ الناس وتحذيرِهم منه؛ بأنه كذاب، هذا هو الواجب.

يكفي هذا، ونجيب عن الباقي في لقاء قادم.

وهذا يسأل عن الصعافقة، بالنسبة لأسماعنا _يقول_ جديدة؟

الصعافقة هم الذين ليس لديهم رأس مال في جميع الأمور، ففي العلم لا شيء عندهم، وفي الدنيا والدراهم والدنانير لا شيء عندهم، فأما الذي يَهُمُّنَا فهو باب العلم، قد رُوِيَ في هذا عن قتادة رحمه الله تعالى أنه قال: "خذوا ما جاءكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودَعُوا عنكم ما جاء عن هؤلاء الصعافقة"؛ يعني: الذين لا علم عندهم، يريد به أهل الابتداع، والذين لا علم عندهم، فعليكم بالسنة، وعليكم بالأخبار النبوية في هذا، عليكم بأهل العلم؛ خذوا عنهم، أما الذي ليس لديه رأس مال فهؤلاء صعاليك صعافقة، فكما أن هذا لا مال له فهو صعفوق، فالصعافقة في العلم هم الذين لا علم عندهم، ما عندهم رأس مال في العلم.

وذَكَرْنَا لكم قصة الفروج مع الديكة، فهؤلاء هم الفراريج؛ ظنوا أنفسهم ديكة غَزِيْرِي العلم مثل الديك بعيد الصوت، يُسمع على بُعْدٍ؛ مسافة بعيدة، يُسْمِعُ أهلَ القرية جميعا، ربما يكون ديكا واحدا يَسْمَعُه أهلُ القرية جميعا، فهكذا مَنْ عنده علم؛ يأخذ عنه الناس جميعا، ويسمعون به، يتواردون عليه، يَبْلُغُهُم خَبَرُه، يَشْتَهِرُ بين الناس

ذِكْرُهُ، هذا صاحب العلم، أما الفروج فلا أحد يعلم به، فهؤلاء الصعافقة، هم هؤلاء الفراريج الذين لا شيء عندهم.

وهذا يسأل عن قولي: "بَزَّ"؟

"بَزَّ"؛ يعني: ظَهَرَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، "بَزَّ": ظَهَرَ عَلى غَيْرِهِ، يعني: ارتفع وعلا، نعم.

هذا سؤال، وهو في الحقيقة بلاء يضاف إلى البلايا التي ذكرناه في سكنى بلاد الكفر، عياذا بالله مِنْ ذلك، يقول: امرأة كانت في بلاد الكفر فلما تزوجت هاجرت _يعني: مع زوجها_ إلى المغرب، وتركت أمها في بلاد الكفر، وهي حزينة ومريضة بالوسواس _يعني: الأم_، ولا تريد أن تذهب مع بنتها إلى بلاد الإسلام، فهل يجوز أن تَزُوْرَها؟

نعم، تزورها، ولكن لا تبقى ببلاد الكفر، تزورها، ولا تبقى ببلد الكفر، وعليها أن تواسيها، وأن تحسن إليها، وأن تُرَغِّبَها في ترك بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام؛ حتى تموت في بلاد المسلمين، بين ظهراني المسلمين، لا يجوز الإقامة بين ظهراني المشركين، وإن شاء الله تعالى نُفَصِّلُ في هذه المسألة؛ لأن الكلام فيها قد كَثُرَ، وسنتكلم على مسألة الإقامة ببلاد المشركين بكلامٍ، إن شاء الله تعالى يكون بَعْدَ ذلك مَرْجعا لكل مَنْ يسأل في هذا الباب.

أقول: لا يجوز لها أن تبقى في بلاد المشركين، ما الذي يُطْمِعُها في بلاد المشركين؟ {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ}[٢٤]، ما هي مستضعفة، ابنتها تقول لها: هيا معي، والطريق مُيَسَّرٌ، وزوجُ بِنْتِها قد هاجر بزوجته إلى بلاد الإسلام.

فالواجب على هذه الأم أن تخاف الله جل وعلا في نفسها، وتَتّقِيَه في نفسها، وتنتقل إلى بلاد الإسلام.

والغالب _يغلب على ظني_ أن هؤلاء أصولهم مِنْ بلاد الإسلام، ولكنهم ممَّن عكسوا الآية، فأصبحوا يسمون أنفسهم: "مهاجرين" إلى بلاد الكفار، هذه هي الهجرة اليوم، انتكست المفاهيم الشرعية، فَبَعْدَ أن كانت الهجرة هي الانتقال مِنْ بلد الشرك إلى بلد الإسلام؛ أصبحنا اليوم نُسَمِّي "المهاجرين": مَنْ ينتقل مِنْ بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر، هذه مصيبة، مصيبة عظيمة جدا.

فأقول لهذه الأخت التي هاجرت مع زوجها: زُوْرِي أُمَّك، وصِلِيْهَا، وأَحْسِنِي إليها، وتَعَهَّدِيْهَا، ورَغِّبِيْهَا، ولا تيأسي، فعسى الله جل وعلا أن يفتح عليها وتنتقل إلى بلاد الإسلام، وبالله التوفيق.

هذا يقول: هل يُشْتَرَطُ النصيحة قبل الهجر؟

---

[٢٤] _ النساء (٩٨).

نعم، وقد قلنا هذا غَيْرَ مَرَّةٍ، قال الله: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[٢٥]، فقوله: {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ}، لعله مُلَبَّسٌ عليه، فأنت تنصح له حتى يتبين، فإن أَبَى تَرَكْتَه وباطله الذي عليه، الذي لا تملك أنت أن تهديه، والهداية بيد الله سبحانه وتعالى.

والإمام أحمد _رحمه الله_ لما سُئِلَ عن رجل يمشي مع رافضي؛ قال: فأهجره لا أسلم عليه؟ قال: "لا"، أو قال: "أو تُحَذِّرُه منه"؛ يعني: بَلْ تحذره منه، "ثم إن رأيته بعد ذلك يماشيه فألحقْه به"، رآه يمشي مع رجل مِنْ أهل الأهواء، مِنْ أهل الأهواء، هذه العبارة، هذه نص العبارة، رآه يمشي مع رجل مِنْ أهل الأهواء، قال: أفأهجره؛ لا أكلمه؟ قال: "أو يحذره"؛ يعني: تبين له، فإن أَبَى فألحقْه به، فأنت هنا لا بد أن تبين له، فإذا لم يقبل وبَقِيَ على الباطل تركتَه وهجرْتَه حتى يتوب، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان[٢٦].

---

[٢٥] _ النساء (١١٥).

[٢٦] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْعِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء السادس مِنْ سلسلة "رسائل إلى طالب العلم"

بعنوان: الصبر على طلب العلم

لصاحب الفضيلة الشيخ العلامة الدكتور: محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى[٢٧]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وقيوم السموات والأراضين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رحمته للعالمين، وحجته على الخلق أجمعين، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فاليوم نحن _معشر الأحبة_ على مَوْعِدَةٍ مع الكلام على الأدب السابع مِنْ آداب طالب العلم، هذا الأدب مهمٌ جدا، فَبِهِ بعد توفيق الله جل وعلا يَنالُ طالبُ العلمِ مرادَه، وبدونه لا ينال مِنَ العلم شيئا.

إن هذا الأدب الذي ينبغي لنا جميعا أن نتحلَّى به هو الصبر، الصبر على التَّحْصِيْلِ على الطلب، فإذا لم يكن ثَمَّ صَبْرٌ فلن يَتَحَصَّلَ المرء على علم.

[٢٧] _ ألقاه في مسجد بدري العتيبي، بالمدينة النبوية _على صاحبها أفضل الصلاة والسلام_.

طالب العلم يحتاج إلى استصحاب الصبر دائمًا معه، يحتاج إليه في الرحلة؛ فيصبر على عنائها ومشقتها وطولها وبُعْدِ أماكنِ العلم عنه.

ويحتاج إليه في ضيق العيش؛ في شحِّ النفقة، إذا شَحَّتْ عليه النفقة، فربما جاءته السآمة فضاقت عليه الأرض بما رَحُبَتْ فانقطع عن التحصيل؛ إما بالعود إلى بلده، وإما بالاشتغال بالتجارة، ويترك الطَّلَبَ.

يحتاج إليه مع الشيوخ في الأدب بين أيديهم، والصبر على جفوتهم.

ويحتاج إليه في المذاكرة والمراجعة والتحصيل، في تقييده لأوابد الشوارد، وتقييده لشوارد الفوائد، فإن لم يصبرْ لن يُحَصِّلَ، فإن لم يصبر لن يحصِّل.

يحتاج إليه في ترويض نفسه في طول المدة التي يحصِّلُ فيها، فإن لم يُرَوِّضْ نفسَه على طول المدة اسْتَعْجَلَ وانقطع، وهذا الذي أشار الشافعي فيما يُنْسَبُ إليه في الأبيات المشهورة بقوله: وصحبة أستاذ وطول زمان.

الصبر _معشر الإخوة_ ركن ركين في آداب الطلب، فبدونه لا يتأتَّى لك _أيها الطالب_ العلم.

الصبر تحتاج إليه في البحث والمراجعة وتحقيق المسائل والنظر في الدلائل وكشف وجوه الاستدلال حتى تصل إلى الصحيح الراجح مِنَ الأقوال، فإذا لم تَدَرَّعْ بالصبر في البحث والنظر والمراجعة لِكُتُبِ العلم لن تُحَصِّلَ العلم.

وقد دَلَّ على ذلك _معشر الأحبة_ القرآن الكريم في قصة موسى مع الخضر عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، إذ قال الله عنه أنه قال لِخَضِرٍ عليهما الصلاة والسلام: {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}[٢٨]، أيش الجواب؟ {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}[٢٩].

وهذه الكلمة: {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}؛ فيها دليلٌ على صبر العلماء والشيوخ على ثِقَلِ العلم؛ لأنهم قد ذاقوا حلاوتَه، وعدم صبر الطالب على العلم؛ لأنه لم يذق بَعْدُ حلاوتَه، {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}، والدليل الباقي: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}[٣٠].

العالم قد أحاط بهذا العلم، فَلَعَقَ حَلَاهُ فعرفه، فاستلذَّ، فلا يستطيع أن ينقطع عنه، فيصبر على أذى أهله، تَرَوْنَ العالمَ؛ يناله أذى مِنْ أهله، أنت قصَّرْتَ في حقنا، أنت ما ترى إلا العلم، أنت مُغَلِّب الطلاب علينا، أنت كلُّ وقتك للطلاب، أنت ما ... وهكذا،

---

[٢٨] _ الكهف (٦٦).

[٢٩] _ الكهف (٦٧).

[٣٠] _ الكهف (٦٨).

تظنون العالم يسلم؟ ما يسلم، ينالُه مِنَ الأذى، لكنه يصبر، هذا الْمُرُّ كلُّه في المعاملة له أول ما تبدأ مِنْ داخل البيت؛ لأنه قد ذاق حلاوة العلم، فلا يؤثر هذا فيه، مهما تكلموا، مهما قالوا.

وهكذا مع الناس، مع ذوي القرابة؛ نريدُ نجلسُ معك؛ ما تجلس معنا، نعم هم يريدون أن يجلسوا معك لكن لضياع الوقت، أنت ما تَصِلُهم، لأ؛ تَصِلُهم لكن يريدون الصِّلَة على ما يحبون، على إضاعة الأوقات والكلام الفارغ، وأنت ما عندك استعداد تُضَحِّي بالوقت معهم، فينالك مِنَ القرابة.

وهكذا مِنَ الأصدقاء والجيران؛ فلانٌ مُتَكَبِّرٌ، فلانٌ شَايف نفسَه؛ نزورُه ولا يزورُنا، هو يزورُهم لكن الزيارة الواجبة، حيث وجبَتْ عليه الزيارةُ، لكن تريده يجلس معك أربعة وعشرين ساعة؟! هذا ما يمكن أن يضيع الوقت فيه.

فمخالطة العالم للناس على ما فيه فائدة، وبحسب الحاجة، أما أن يضيع وقته كله؛ ما يرضى بهذا، فلذلك يناله مِنَ الناس قبل طلبة العلم، لماذا؟ لأنه قد خَبَرَ العلمَ وذاق حلاوته، فصبر على كلِّ شيء يلحقه في سبيل الازدياد مِنَ العلم، هذا قبل الطالب.

فينبغي للطالب أن يعرف هذا الباب، {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}[٣١]، انظرْ الطالب النجيب الحريص: {قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا}[٣٢].

فلابد أن يكون الطالبُ مُتَخَلِّقًا بهذا الخلق، ولهذا في القصة لما لم يصبر موسى، وهو أفضل مِنْ خَضِرٍ، وقد أراد الله جل وعز أن يؤدبه بهذا الأدب؛ لأنه لم يَكِلِ العلم إلى عالمه، لم يقل: الله أعلم.

لم يقل: الله أعلم حينما سُئِلَ: أتعلم في الأرض أحدًا أعلم منك؟ كان الواجب أن يَرُدَّ العلمَ إلى عالمه فيقول: الله أعلم، لكنه لما لم يَرُدَّ العلم إلى عالمه، عاتبه الله وأدبه بهذا الأدب سبحانه وتعالى، قال له: بلى عبدنا خضر، هو قال: لا أعلم، قال: بلى عبدنا خضر.

فهنا قال: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا}[٣٣]، وفيه الصبر لطالب العلم، وفيه أيضا الصبر على الشيوخ، {قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ

---

[٣١] _ الكهف (٦٧_٦٨).

[٣٢] _ الكهف (٦٩).

[٣٣] _ الكهف (٦٩).

ذِكْرًا}[٣٤]، النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث ماذا قال: "يرحم الله أخي موسى"؛ أيش؟ أكملوا الحديث، "وددنا"[٣٥]؛ لماذا؟ حتى يرى.

فلابد _معشر الأحبة_ مِنَ الصبر، اصبرْ على التَّعَلُّم، اصبرْ على الشيوخ، فالشيءُ يُؤخذُ بالتدرج، أما تريد العلم جملة، لن تُؤْتَاهُ، وسَتُحْرَمُه جُمْلَةً، فإن مِنْ رَامَ العلمَ جملةً حُرِمَهُ جملةً.

الآن _يا أخي_ عُمْرُه ثماني عشرة سنة، خَمْسَ عشرة سنة، عشرون سنة، إلى شيخْ جَاوَزَ الستين والسبعين، وفي بحر الستين شَابَ رأسُه ولحيتُه في العلم، ويريد أن يأخذ علم هذا الشيخ في السبعين سنة! احذفْ منها مِنْ بَعْدِ بلوغِه، خمس وخمسون سنة يريد أن يأخذها في خمس ساعات! هذا مَا يُمْكِنُ.

اليوم شيءٌ وغدًا مِثْلُه ... مِنْ نُخَبِ العِلْمِ التي تُلْتَقَطْ

يُحَصِّلُ الْمَرْءُ بها حِكْمَةً ... وإنما البحرُ اجتماعُ النُّقَطْ

هذا لابد منه، وما حوى الغاية في ألف سَنَةٍ شخصٌ؛ لو تُعَمَّرُ ألفَ سَنَةٍ ما بَلَغْتَ غَايَةَ العلمِ، إذن فاصبر وحَصِّلْهُ على الطريق الصحيح.

---

[٣٤] _ الكهف (٧٠).

[٣٥] _ جاء في حديث طويل _وهو متفق عليه_ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وددنا أن موسى صبر؛ حتى يُقَصَّ علينا مِنْ أمرِهما"؛ لفظ البخاري، ولفظ مسلم: "يرحم الله موسى، لوددت أنه صبر؛ حتى يُقَصَّ علينا مِنْ أخبارِهما".

واليوم نرى بعض الصعافقة يريد في سنةٍ واحدةٍ يكون شيخَ الشيوخ، ما هو شيخ، شيخ الشيوخ، ومرجعا للناس في كل شيء، وهذا والله مِنْ أظهر علامات الخذلان.

أحمد رحمه الله _ تعرفون مقالته_ رضي الله عنه، يقول: مع الْمِحْبَرَةِ إلى المقبرة، سألوه، قال: لعل الحديث الذي أريده لم أكتبه إلى الآن، أحمد، هذا يقوله أحمد في آخر حياته.

فيا عَيْبَاهُ في هذا العصر؛ يَتَخَرَّجُ مِنَ الكلية وبعضهم _كما قلت لكم_ لو تسأله يُعَدِّدُ لك كُتُبَ الفقه مُرَتَّبَةً في الكتاب الذي دَرَسَه ما استطاع، ويريد أن يجعل مِنْ نفسه شيخ الإسلام، ولكن في هذا العصر يَسْتَاهِلُون، معهم حق، خدمتهم الكمبيوترات، وجاءت بعلومهم المبتورات؛ ولله الحمد، خَلْلُوه يخرج مِنْ خلف الشاشة وذَاْكِرْهُ، وإذا به كما قال الشوكاني: وقف حمار الشيخ في العقبة، يظهر حينئذ العلم، ويظهر حينئذ الدَّعِيُّ في العلم.

فيا أحبتي احذروا هذا، واحذروا أدعياء العلم، احذروا العجلة، واحذروا أدعياء العلم.

فعليكم بالصبر، ووَطِّنُوا أنفسكم، فإن مَنْ ذاق عرف، مَنْ ذاق حلاوة العلم عَرَفَ قَدْرَه، وبذل حقه في هذا الباب مِنَ الصبر على التحصيل في جميع الجوانب التي ذكرناها،

ومَنْ لم يذق لم يعرف، هذا باب، محروم، ومَنْ حُرِمَ الذوق، المذاق الطيب؛ انصرف، ترك هذا العلم.

وقد قال بعض العلماء: "لن ينال هذا العلم إلا مَنْ هدم دكانه"، أو قال: "عطَّل دكانه وخرَّب بستانه"، وزاد بعضهم: "وهجر إخوانه"؛ يعني: جَانَبَهُم، الخلطةُ ليست دائمة، وقت الحاجة، فهذا يستجمعُ وقتَه، فإذا استجمع الوقت أنفقه فيم؟ في الصالح.

لن ينال هذا العلم إلا مَنْ؟ "عطَّل دكانه"، أو: "خرَّب دكانه"، بعضهم يقول هذا، يرويها، "هدم دكانه _أو: عطل دكانه_ وخرَّب بستانه، وهجر إخوانه"، ليس المراد به "الهجر" القطيعة، ولكن المراد به قلة أيش؟ قلة المجالسة، يعني يجالسهم على قدر الحاجة والباقي للعلم، هذا الذي ينال العلم.

الآن نرى بعض أبنائنا أوقاتهم كلها في الجدل، وفي المناقشات الفارغة التي لا فائدة فيها، وقَلَّ منهم إذا رأيته يكون لهم الصاحب الذي يعينه إذا أراد التَّذَكُّرَ والمذاكرة، يعينه إذا أراد الحفظ والمراجعة، يعينه إذا كسل على النشاط وعلو الهمة، يعينه إذا ابتلي في هذا الباب بشيء مِنَ الكسل أو السآمة والملل، فيثبته ويشجعه، قليل، قليل، فلذلك كان الصديق والصاحب في الرحلة مُهِمٌّ، ولابد أن يكون الصاحب هذا _كما قلنا لكم_ ماجدا، فهذا الذي يعينكم.

فأوصيكم معشر الأحبة ونفسي بالصبر على هذا العلم، فإن مَنْ صَبَرَ ظَفَرَ، ومَنْ أطال المجال في هذا العلم نَالَ، ومَنْ قَصَّر تَحسَّر، مَنْ صبر ظفر، ومَنْ أطال المجال نال، ومَنْ قصر تحسر، فلا يلومن إلا نفسه، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين[٣٦].

[٣٦] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

[السؤالات]

هذا يقول: متى يعرف الطالب أنه أَهْلٌ للدعوة لَمَّا يتخرج في الجامعة خاصة، إذا يشعر الطلابُ أن بضاعته قليلة؟

هو يعرف، إذا شعر الطلاب أن بضاعته قليلة فهذا دليل على ما؟ دليل على التقليل، رأوا ما عنده، وقَيَّمُوه، فعليه أن يتلمس مواطن الضعف فيتقوى فيها، وعليه أن يتلمس مواطن النقص فيكملها، فإن كان في الحفظ كمَّله، وإن كان في الفهم جَمَّلَهُ، وذلك بالقراءة في كتب الأصول التي تصحح له الفهم، والمراجعة لأصول المتون التي تثبت له الحفظ، فإن العلم حفظٌ وفهمٌ، العلم حفظ وفهم، هذا هو العلم، هذا هو العلم.

تكتب العلم وتلقي في سَفَطْ ... ثم لا تحفظ لا تفلح قط

إنما علمك ما تحفظه ... مع فهم وتوقٍ مِنْ غلط

إذن فالعلم حفظ وفهم، "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"، هذا هو الفهم، "مَنْ يُرِدِ الله به خيرا يفقه في الدين"، هذا دليل أيش؟ الفهم، "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك"؛ فالتعليم المراد به هنا: التلقين، الحفظ، فإذا حفظ العبد أولًا، وأتقن الحفظ، ثم أتقن الفهم بعد ذلك؛ فإنه قد وُفِّقَ، وقد أُوْتِيَ العلم على الوجه الصحيح، فلا بد مِنْ حفظ، ولا بد مِنْ فهم.

والحفظ يكون للمتون المعتبرة في الفنون، جميع أبواب العلم، لابد أن يحفظ في كل فن متنا، والثاني: أن يفهم هذا المتن حقَّ الفهم فهما صحيحا، فإذن:

إنما علمك ما تحفظه .. مع فهم وتوق مِنْ غلط

لا بد من الحفظ، هذا النصف الأول، ثم بعد ذلك أيش؟ الفهم، "نضر الله امرءا سمع منا حديثا"؛ هذا أول مبادئ العلم؛ السماع، "فحفظه"؛ هذا ثاني المراتب، فلابد مِنَ الحفظ، تسمع، تُرْعِي سمعَك حتى تفهم ماذا قال العالم، ماذا قال الشيخ، ماذا قال المدرس، فإذا حفظت كلامه؛ بعد ذلك تَتَفَهَّمُ فيه.

والحفظ للعلوم على قسمين: حفظ الكتاب والسطر، وحفظ القلب في الصدر، فمَن آتاه الله حفظا عليه ألا يُهمل جانب الكتاب، لأن اليوم الحفظ، وغدا يَطْرُقُ النسيان، ومَنْ آتاه الله قوةً وضبطًا في السماع فكتب؛ عليه ألا يعتمد فقط على الكتاب، عليه أن يُحافظ إلى هذا ويَضُمُّه أيضا إلى صدره، {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}[٣٧]، فلا بد مِنَ الحفظ، ولابد مِنَ الفهم، فالعلم يقوم على هاتين الركيزتين، ودليله كما سمعتم.

"اكتبوا لأبي شاه"، إذا كان لا يكتب؛ اكتبوا له، فَيُقْرَأُ عليه ويَتَفَهَّمُ ذلك، أصحاب رسول الله _صلوات الله وسلامه عليه_ كانوا يحفظون ويفهمون وإن لم يكن الكلُّ يكتب، وإن لم يكن الكلُّ يكتب.

---

[٣٧] _ العنكبوت (٤٩).

قد يقول قائل: كيف عالم ولا يكتب؟! لأ، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الذاكرةُ وقَّادَةً، والأذهانُ سَيَّالَةً، فكان الحفظ عندهم هو العمدة، فعندهم الحفظ، وعندهم الفهم.

قال: ما أعلم أحدا أكثر حديثا مني إلا ما كان مِنْ؟ مِنْ عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم جميعا فإنه يكتب ولا أكتب، ومع ذلك هو أكثر منه، لكن قال هذا بغلبة ظنه: "يكتب ولا أكتب"، أبو هريرة ما كان أيش؟ يكتب، صح ولا لأ؟ فإذا حفظ وفهم حتى ولو لم يكتب، عنده الضبط الأول وهو ضبط الصدر.

فلابد معشر الأحبة مِنْ تدارك وتعاهد هذين الركنين:

الركن الأول: الحفظ،

والركن الثاني: حسن الفهم.

أو إن شئتم: دقة الحفظ وإتقان الحفظ، وحسن الفهم ودقة الفهم، هذان هما الأصلان في هذا الباب.

فعليك _أيها الابن السائل الكريم_ أن تنظر في أمرك في هذا الجانب، فإذا أتقنت في هذين الجانبين، وأحكمت بناء هاتين الركيزتين وُفِّقْتَ بإذن الله تبارك وتعالى.

هذا يسأل عن إنسان صام بَدَلَ الْهَدْيِ يومين في أيام التشريق وصام الثالث في جدة؛ هل فعله هذا صحيح؟

قد انتهى، وما دام قد عمل؛ فإن شاء الله لا شيء عليه.

هذا يسأل يقول: الناس في العراق، في مدينة الموصل، كانوا يدفنون موتاهم في حدائق البيوت لشدة الحرب وتعذُّر واستحالة الذهاب إلى المقابر، فما حكم نبش هذه القبور لأجل نقلها إلى مقابر المسلمين؟

إذا أَمِنُوا، كان هذا في البيوت؛ نقلوها إن شاء الله تعالى بما لا يؤثر على هؤلاء المقبورين، ولا بأس بذلك إن شاء الله، وهم معذورون.

وهذا يسأل عن كتابة القرآن بالحروف اللاتينية؟

قد أجبنا، قلنا: لا يجوز ذلك، لكن أن يُتَرْجِمُ بالحروف اللاتينية معاني القرآن؛ لا بأس.

هذا يسأل يقول: كيف الجمع بين الحرص على العلم وبين خدمة الإخوان؛ لأن بعض الإخوة يَكْثُرُ عليه إخوانُه، ويخدمهم بسيارته، فَيَنْقُصُ تحصيلُه للعلم؟

إذا كان يخدمهم بسيارته في وقت محدود، كأن جاؤوا جددا؛ طلاب جدد، أو جاؤوا ضيوفا؛ فلا بأس، يخدمهم في وقت الحاجة، وبقدر الحاجة، أما أنه يَحُطُّ نفسه

"سابتكو"! نقل دائم! أربعة وعشرون ساعة نقل ترددي! هذا غير صحيح؛ لأنه إذا صار "سَابِتْكُو"؛ العلوم "سابَتْكُوا" _بالفتح_ ستتركه، "سابِتْكُو" النتيجة سابَتكوا، العلوم سَتُسَيِّبُكَ وتتركك، فالخدمة للضيف بقدر.

ويجب التنبيه هنا _معشر الأحبة_ يجب أن يكون الضيف خفيف الظل، ما يكون ثقيلَ طينة؛ ينزل على قلبك كالصخر، إذا كان خفيف الظل أحببته، استرحت إليه، تحب مجالسته، أما الثقيل.

إذا حل الثقيل بأرض قوم ... فما للساكنين سوى الرحيل

فلابد، فأنت _أيها الأخ الكريم السائل_ يجب عليك أن تقوم بحق إخوتك، لكن لا على حساب نفسك، ما تنفع غيرك، وتضر نفسك، قم بالمهمة التي يحتاجون إليك فيها، لا يجدون سواك، أو تتوقف عليك حاجتهم إليك، اخدِمْهم، ابذلْ لهم، والله يعينك.

واعلم أن في هذا الأجر، وفيه التوفيق لك، والتيسير عليك، إن شاء الله، أما أن تُضَيِّعَ وقتك كلَّه نَقْلَ تَرَدُّدِي _كما قلت لك_ لأ؛ هذا غير صحيح، نعم، يبحثون لهم عن الذي يذهب بهم، ويأتي بهم، إذا جاؤوا يرافقونك في الجامعة وأنت معك سيارة مثلا، أو إلى حِلَقِ العلم وأنت عندك سيارة؛ وَاعِدْهُم في المكان المحدد، تَمُرُّ تأخذهم على طريقك وتمشي، أما أن تُسَيِّبَ العلمَ لأجلهم؛ هذا غير صحيح.

لعلنا نكتفي بهذا القدر، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين[٣٨].

[٣٨] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء السابع مِنْ سلسلة الرسائل إلى طالب العلم

بعنوان: ذم الخجل في العلم وعدم الاشتغال بكتب الخلاف في أول الطلب واتباع العلم بالعمل

لصاحب الفضيلة الشيخ العلامة الدكتور: محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى[٣٩]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم يُبَعْثَرُ ما في القبور، ويُحَصَّلُ ما في الصدور، إن ربنا بجميع عباده لبصير خبير، وأصلي وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

اللهم إنا نسألك الإخلاصَ في القول والعمل، والاقتداءَ في الضيق والرخاء، إنك سميع الدعاء.

معشرَ الإخوة؛ إن الموعد _كما هو معلوم_ في مواصلة الكلام باختصار على هذه الآداب التي ينبغي لنا وإياكم طلبة العلم أن نتحلى بها؛ فإن التحلي بها هو الذي يُنْتِجُ

[٣٩] _ ألقاه في مسجد بدري العتيبي، بالمدينة النبوية _على صاحبها أفضل الصلاة والسلام_.

الثمرةَ المرجوة، ومَنْ جانبها أو فَرَّطَ في شيء منها فاته مِنَ العلم بقدر ما جانب وبقدر ما فَرَّطَ، فنسأل الله جل وعلا أن يوفقنا جميعا للعلم النافع والعمل الصالح.

واليوم نتحدث عن الأدب الثامن مِنَ الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يتصف بها، ويتأدب بها، ويتخلق بها، ذلكم الأدب؛ نحن قد أَشَرْنا إلى صِنْوِهِ في لقاء سابق، وقد جاء ذِكْرُه أثناء الكلام إشارةً، حينما تكلمنا عن التحذير عن العجب.

واليوم نتكلم عن التحذير في الخجل في العلم؛ فإن الخجل في العلم ممقوت، ويُفَوِّتُ على صاحبه التحصيل.

وقد ذكرنا في لقائنا الماضي أو قبله حينما تكلمنا عن التواضع وحذرنا مِنَ العجب، ذكرنا قول السلف رحمهم الله: "لا ينال العلم حييٌّ ولا مستكبر"، والمستكبر تقدم الكلام عليه.

واليوم الكلام على الخجل، فإن الخجل في هذا الباب مقوت، ومَنْ منعه خجلُه عن التعلم والسؤال فيما يُشْكِلُ فَاتَه العِلْمُ الكثير.

جاء في صحيح مسلم مِنْ حديث زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنهما، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأةٌ مِنَ الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي مِنَ الحق، هل على المرأة مِنْ غُسْلٍ إذا هي احتلمَتْ؟ فقال

صلى الله عليه وسلم: نعم إذا هي رأت الماء، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: أَوَ تحتلم المرأةُ يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: تَرِبَتْ يداك، فَبِمَ يشبهها ولدُها؟ فبم يشبهها ولدها؟

والشاهد في هذا الحديث، وإن كان فيه فوائد فقهية كثيرة، لكن الذي يهمنا منه هو المناسب لمسألتنا، وهو قولها رضي الله عنها حينما سألت: إن الله لا يستحيي مِنَ الحق.

فالمرء ولو كانت مسألته فيها شيء مِنْ ما يُخَجِّلُه؛ يعني: يَسْتَحْيي مِنْ ذِكْرِهِ، لكن إذا بقي على حيائه ولم يسأل، منعه خجلُه، هذا ليس الحياء المحمود الممدوح، بل هو الخجل المذموم، الخجل المذموم، هو الذي يمنع صاحبه مِنَ السؤال، وعن السؤال حتى لا يُحْرَجَ أمامَ الناس، أو ربما ضُحِكَ عليه، أو سُخِرَ منه، أو اسْتُهْزِئَ به، ونحو ذلك.

فيجب على طالب العلم أن يسأل عما أشكل ليصل إلى ما أَمَّلَ، مَنْ سأل عما أَشْكَلَ وصل إلى ما أَمَّلَ، والذي يُؤَمِّلُه هو حصول العلم؛ فإن السؤالات أعظم مفاتيح العلم، فقلوب العلماء وصدورهم هي صناديق العلم، والسؤالات هي مفاتيحها، فمَنْ سأل تعلَّم، ومَنْ خَجِلَ وأَحْجَمَ تَنَدَّمَ، مَنْ سأل تعلَّم، ومَنْ خجل وأحجم _يعني: عن السؤال_ تندم.

فينبغي لطالب العلم أن يسأل عما يجهل، وأن يسأل عما يُشكل، فإنه إذا سأل عما يجهل، وسأل عما يُشكل بذلك يُحَصِّلُ.

قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بم حصَّلْتَ هذا العلم؟ فقال رضي الله عنه: بلسانٍ سؤول، وقلبٍ عقول.

وقد كان عمر يقول فيه _رضي الله عنهم جميعا_: "ذاكم فَتَى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول".

وكلكم تعرفون ابن عباس رضي الله عنه، وهو مِنْ صغار الصحابة، ولكنه مِنْ كبار الفقهاء رحمه الله ورضي عنه، ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا.

ثم باجتهاده ثانيا، يقول رضي الله عنه: لما قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وذَكَرَ هذا كلُّ مَنْ ترجموا لابن عباس في تراجم الصحابة، ومِنْ أخصر الكتب: "الإصابة"، تجدونه فيه، قال: لما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قلتُ لرجل مِنَ الأنصار، أو قال: شابًا مِنَ الأنصار: هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرٌ، فَهَلُمَّ بنا نسألُهُم، فقال له: أَتُرَى الناس يحتاجون إليك وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم؟! قال: فتركتُه، فأخذتُ أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فربما جِئْتُ إلى باب أحدهم في القائلة وهو نائم، فأتوسَّد ردائي، فتسفي عليَّ السوافي التراب، حتى يخرج صاحب الدار، فيراني فيقول: ما هذا؟ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، هَلّا آذنتني فآتيك، فأقول له: لأ، أنت أحقُّ أن يُؤْتَى إليك، قال: فأسأله.

يقول الأنصاري: فلما قُبِضَ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم _يعني: أكثرهم_ ورأيت الناس حول ابن عباس يسألونه ويستفتونه؛ قلت: لقد كان ذاك الفتى أعقل مني.

فالذي يسأل؛ هذا هو العاقل؛ لأنه الآن يجمع، مَنْ سأل حصَّل، وغدا سيُسْأَلُ، فكما سَمِعَ يُسْمِعُ، وكما تَحَمَّلَ وتَجَمَّلَ يُؤَدِّي، أما الذي منعه حياؤه فهذا لا يُحَصِّلُ بحالٍ مِنَ الأحوال.

فعليك أيها الطالب بسؤالِ أهل العلم فيما يُشْكِلُ عليك، فلا تبقى جاهلا.

وعليك أيها الطالب أن تسأل عما لا تَعْلَمُه؛ فإن السؤال مفتاح العلم، وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة بذلك، حينما قال له: مَنْ أحقُّ الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال له عليه الصلاة والسلام: "لقد علمْتُ ألا يسألني عنها أحدًا أول منك؛ لما رأيت مِنْ حِرْصِك على العلم".

فالحريص على العلم هو الذي يسأل فَيُحَصِّلُ، وأما مِنْ منعه الخجل فهذا كمَن يمنعه الكِبْرُ، يعود صفرا أشبهَ ما يكون بالعوام ولو جالس أهلَ العلم ما جالس، يستفيد الظاهر الذي يقولونه، الذي في نفسه يُشْكِلُ عليه ولا يريد إخراجَه خجلا، وهذا هو الخجل المذموم، هذا الذي الناس يحتاجون إليه ولا يجدونه عندك.

وعائشة رضي الله عنها تقول: رَحِمَ اللهُ نساء الأنصار؛ لم يكن يمنعهن الحياء مِنَ التفقه في الدين؛ يعني: الخجل، الحياءُ المحمود هذا كله خير، لكن تعني بالحياء هنا الخجل المذموم، الذي يمنع مِنَ السؤال عن العلوم.

ولْيُعْلَمْ أن السؤال مِنْ أسرع الطرق في تحصيل العلوم، ولذلك حرص السلف رحمهم الله على تدوين السؤالات في الفقه، وفي الرجال، وفي الحديث، فكتب السؤالات موجودة، وكم فيها مِنْ العلم الذي نستفيده؟

فقلوب الرجال وصدور الرجال _كما قلت لكم_ صناديق العلم، وعليها الأقفالُ، وحُسْنُ الأدب في السؤال هو مفتاح هذه الأقفال.

فاحرِصُوا _رحمكم الله_ على السؤال عما يُشْكِلُ، وعلى السؤال عما يُجْهَلُ، فيُحَصَّلُ ما يُشْكِلُ، ويُحَصَّلُ ما يُجْهَلُ، فَيُحَصَّلُ بذلك الخيرُ الكثير.

أما الأدب التاسع والذي ينبغي الاعتناء به اعتناء شديدا، فهو سبب مهم، أكثر طلبة العلم _اليومَ وقبلُ_ واقعون فيه، وبسببه حُرِمُوا مِنْ كثير مِنَ العلم، هذا السبب، أو هذا الخلق الذي ينبغي أن يتخلق به طلبة العلم فيحرصوا على تَفَقُّدِ أنفسهم فيه؛ هو عدم الاشتغال بكتب الخلاف في أول الأمر؛ فإن ذلك مشتت للذهن، مُحَيِّرٌ للعقل، والطالب الصغير يَصْعُبُ عليه أن يَفْهَمَ، وأنا أقصد بالصغير الصغير في العلم ولو كان عُمرُه أربعين، الصغير الصغير في العلم، المبتدئ ولو كان عمره أربعين؛ لأنه ليست عنده القواعد التي

يجمع بها بين الأدلة، ويُفَرِّقُ بها بين هذا وهذا في الأشباه والنظائر، ويفرِّق بها بين المتنافرات، ويجمع بين المتشابهات والمؤتلفات، وما ذلك إلا لأنه لَمَّا يَتَأَصَّل، فمَن لم يتأصل وبدأ بكتب الخلاف ما حصَّل، مَنْ لم يتأصل وبدأ بكتب الخلاف ما حصَّل، فإنه سينتهي به أمرُه إلى الحيرة؛ إذا كثرت الأقوال والاضطراب في أيِّها الصواب، الحيرة إذا كثرت الأقوال، والاضطراب في أيِّها الصواب، ويؤدي به ذلك إلى السآمة والضجر والملل، وإن هو حَلَّتْ به السآمةُ والضجرُ والملل نَكَصَ وما حصَّل.

إذن فما المطلوب في حقه؟ المطلوب في حَقِّ المبتدئ أن يأخذ المتون المعتبرة في أصول الدين وفروعه وعلوم الآلة، فيتقنها على شيوخه، فإذا أتقنها وضبطها، وحفظَ متونَه هذه حتى فهمها، وعرف القواعد؛ لا مانع حينئذ أن ينظر في الخلاف؛ لأنه قد تأصل حتى تأهَّل، فمَن تأصل حتى تأهَّل حصَّل، مَنْ تأصل حتى تأهل حصَّل.

وأنتم ترون اليوم كثيرا مِنْ أبنائنا يبدأ بهذا الكتاب ثم يتركه، ربع هذا الكتاب ثم يتركه، ثلث ذلك الكتاب ثم يتركه، بَابًا مِنْ هذا الكتاب ثم يتركه، فتجد معلومات بعضِ الناس مبعثرة مشعثرة شَذَرَ مَذَرَ، وهذا في الحقيقة يُضَيِّعُ الوقت على الإنسان.

وقد قلنا لكم وكررنا على مسامعكم فاسمحوا لي حتى أمللناكم.

وما حوى الغاية في ألف سنة ... شخص فخذ مِنْ كلِّ فن أحسنه

بحفظ متن جامع للراجح ... تأخذه على مفيد ناصح

فلابد مِنَ الحفظ للمتون وإتقانها على الشيوخ، وهذه المتون؛ شَرْطٌ فيها أن تكون حاوية للراجح، لا تذهبْ إلى المغمورات، أو الضعيفة التي لم يعتن بها أهل العلم جيلا بعد جيل، وأعرضوا عنها، فوالله ما أعرضوا عنها غفلةً عنها، ولا قُصُورا منهم في العلم، وإنما رأوا أنها لا تستحق أن تُنْفَقَ الأعمارُ والأوقاتُ فيها، لم؟ _وإن كان الخير فيها موجود، لكنها ليست الشاملة الكاملة في جميع أبواب الفن.

فعلى العبد في هذا الباب، على الطالب أن يعتني بهذا الجانب، فإنه إن فاته فقد أُصِيْبَ في مَقْتَلٍ، هذا الجانب مَنْ فاته فقد أصيب في مقتل، ونريد بهذا أنه لا يمكن أن يكون طالبَ علمٍ مُتَأَصِّلٍ مُتَمَكِّنٍ.

هذا الأدب كم؟ التاسع، والعاشر ونختم به في هذه الليلة، ونسأل الله أن يختم لنا ولكم بخير، هو اتْبَاعُ العلمِ بالعمل؛ فإن مِنْ أعظم الأسباب على حفظ العلوم العملَ بما علمت.

وقد جاء عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: "هَتَفَ العلم بالعمل، فإن أُجِيْبَ وإلا ارتحل".

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}[٤٠].

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}[٤١].

وأئمتنا رحمهم الله تعالى كانوا مَضْرِبَ الْمَثَلِ في هذا الباب، ولن أُكْثِرَ عليكم، فإن الشيءَ يُشَارُ به إلى الأشياء، والنبأَ عن أنباء، فيكفي أن أُشير، والقليل يُغني عن الكثير، ورُبَّ كلمة أغنت عن كلمات، ومثال مِنْ واحد قام مقام العشرة؛ الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه، كان يستعين على حفظ الحديث بالعمل به.

يقول رحمه الله ورضي عنه: ما رويت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملتُ به، حتى إنه صَحَّ عندي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه احتجم وأعطى الحاجم أبا طيبة دينارا، فاحتجم رضي الله عنه وأعطى الحاجم دينارا.

فما مِنْ شيء أعظمَ لتحفيظ الإنسان للعلم مِنَ العملِ به.

---

[٤٠] _ الصف (٢_٣).

[٤١] _ الجمعة (٥).

وأذكرُ لكم مثالا ثانيا، وهو حفظة القرآن، لا يمكن أن يكون الحافظ حافظا ويختبر حفظه حتى يُصَلِّيَ بالناس بما حَفِظَ، فَتَرَوْنَ الاختبارَ لحفظة القرآن بالتطبيق العملي في رمضان.

وقد منع والدُ ابنِ خزيمةَ ابْنَ خُزَيْمَةَ رحمه الله تعالى مِنَ الرحلة حتى يتم القرآن فأتم، فمنعه مِنَ الارتحال حتى يصلي لهم به في رمضان، فلما صلى بهم أَذِنَ له والده رحمه الله تعالى بأن يرحل؛ لأنه قد تَأَهَّلَ.

فيا معشر الأحبة؛ لنستعن بالله جل وعلا؛ فإن العلم إذا قُيِّدَ بالعمل أُجِيْبَ، وإذا أجيب أَنِسَ، وإذا أَنِسَ اسْتَقَرَّ، وإذا لم يُجَبْ بالعمل، فإنه حينئذ يستنكر، وإذا استنكر استنفر ونفر منك، فتنسى عددًا مما تعلمت؛ لأنك ما حفظته [بالعمل][٤٢]، وصلاح العلم إصلاح العمل كما قال ابن الوردي في لاميته الشهيرة:

في ازدياد العلم إرغامُ الْعِدَا ... وصلاحُ العلمِ إصلاحُ العمل

فنسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يرزقنا وإياكم حسنَ الاتباع كما رزقنا حُسْنَ الاستماع، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

[٤٢] _ الدقيقة (٢٢)، الثانية (٤٠).

وهذا آخر هذه الآداب، وليست كلها، وإنما أهمها، وبالله التوفيق، وإنما حرصت على ذكر هذه الثلاثة مجموعةً؛ لأننا لا نقعد غدا، والأسبوع القادم إن شاء الله تعالى سنبتدئ في دروسنا، ونبدأ بإذن الله جل وعَزَّ يومي الأحد والاثنين بعد العشاء في معارج القبول في مسجد بني سَلِمَة (القبلتين).

ونسأل الله جل وعلا أن يمتعنا وإياكم على طاعته، وألا يجعل هذا استدراجا، إنه جواد كريم[٤٣].

[٤٣] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.

[السؤالات]

هذا يسأل _فيقول: هذا مهم_ عن صيام عاشوراء الذي سيوافق السبت؟

لا بأس بذلك، أرأيتم لو وافق يومُ السبت يومَ عرفة؛ نصومه ولا لأ؟ نصومه، ولو وافق يومُ الجمعةِ يومَ عرفة، وقفة النبي صلى الله عليه وسلم؛ نصومه ولا لأ؟

لأننا في هذه الحال لا ينطبق عليه النهي، النهي إذا كان تطوعًا مطلقا، أما هنا فلسبب، السبب هو أنه عاشوراء أو أنه عرفة؛ هذا مِنْ ناحية.

ومِنْ ناحية ثانية؛ الحمد لله قد جعل الله لنا ولكم جميعا مخرجا في اليومين جميعا، أما الجمعة فالنبي صلى الله عليه وسلم لما دخل على زوجه، وهي صائمة يوم الجمعة تطوعًا نفلًا مطلقًا قال: أصمتِ أمسِ؟ ما هو أمس؟ الخميس، قالت: لأ، قال: أتصومين غدا؟ ما هو غدا؟ السبت، تَضُمُّه إلى ما؟ تضمه إلى الجمعة، قالت: لأ، قال: فأفطري إذن.

إذن فالنهي عن إفراد يوم الجمعة في التطوع المطلق، النفل المطلق، الذي لا سبب له، نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

وصيام يوم السبت قد وجهه جمعٌ مِنْ أهل العلم، وقد ذكرنا ذلك في الصيام والكلام عن الصيام، قد وجهه وحَمَلَهُ طائفة مِنْ أهل العلم على أن النهي إنما يكون إذا كان مُفْردًا، أما إذا أُضِيْفَ إلى غيره فلا.

وهنا الحمد لله، الجمعة قد أُضِيْفَ إلى السبت، والسبت قد أُضِيْفَ إلى الجمعة، فَمَنْ صام الجمعة مع السبت؛ تاسوعاء وعاشوراء حَصَلَ له الأجر بإذن الله جل وعزَّ، وخرج مِنَ الإشكال، والحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد[٤٤].

[٤٤] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.